

رئيس التحرير : محمد عمر الشطبي

دموع

محمد عمر الشطبي

الطبعة الثانية إبريل ١٩٩١

حقوق الطبع والتأليف والاقتباس
والتصوير من حق المؤلف

الناشر
دار الحياة (عضو اتحاد الناشرين)
٢٢ ش عبد الخالق ثروت
القاهرة

الغلاف والرسوم الداخلية : سعيد بدوى

اهداء

إلى من جاء بي إلى هنا .. وملأ قلبي حبا للآخرين

إلى من علمني الحياة .. وأعطاني مصباحا أستضيء به في طريقي ..

إلى من صنع لي من عرقه وكفاحه حياة حلوة.. أسعد بها..

إلى من رحل عنا سريعا .. تاركا .. لنا الحياة .. بحلوها ومرها. وما زالت قطرات عرقه لآلئ تزين طريقي .. وأنفاسه تملأ المكان حولي عطرا ..

إليك .. يا أنشودة الكادحين .. يا نداء المكافحين

إليك يا أبي إلى أن نلتقي .. أهدي بعضما صنع قلمي بوحيك ..

محمد عمر الشطبي




حرمان

استيقظت صباح اليوم ، وجسمى مرهق والتعب يشدنى شدا لكى أكمل نومى. وكانت تحدو بى رغبة فى عدم الذهاب إلى العمل ، ومع هذا ارتديت ملابسى على عجل وخرجت. وعندما وضعت قدمى على عتبة الحجرة التى أعمل بها ، شعرت بغثيان وصداع شديد. فالقيت بنفسى على مكتبى ، وجاء الساعى ليلقى تحية الصباح ويأخذ السيجارة المعتادة فطلبت منه كوبا من الشاى وأخرجت الجريده من الحقيبة وبدأت أتصفحها.

ولم يمضوقت طويل وإذا بطارق يطرق باب الحجرة ونظرت إلى الباب بغضب وأنا أرفع وجهى ملقيا بالجريدة قائلا.. يا فتاح يا عليم ، يا رزاق يا كريم إذا بى أجد أمامى إمرأة تبلغ حوالى السادسة والعشرين من عمرها آية فى الجمال وروعة فى الأنوثة ، فنظرت إليها فى دهشة مفعمة بالإعجاب إنها أمرأة رائعة لا شك فى ذلك فطلبت منها الجلوسفجلست وهى تلقى تحية الصباح وبدأت كلامها..



* من فضلك أين قسم الحسابات ؟

- ونظرت إليها فى صمت ، إننى أخشى البنات وأكره النساء بصفة عامة وكم هو محبب إلى نفسى الانطواء والجلوس إلى نفسى الساعات الطوال ، فقررت عدم الاهتمام بها ، وعادت تلقى نفس السؤال ..

* لو سمحت من فضلك أين الحسابات ؟

- هناك في الدور الثاني.

* أصلى أنا ..

- أعرف آتية لتدفعي نقود.

* يا أستاذ أنا ..

- لا إيه ! ونعم إيه ألم تسألى عن قسم الحسابات ؟

* يا أستاذ افهمنى أنا آتية لكى أراجع حسابات الهيئة. فقالوا لى أذهب عند حضرتك ألست الأستاذ وحيد ؟

- نعم.. طيب.. قولى هذا من الصبح يا شيخة.. اتفضلى اجلسى.

وجلست وأنا شارد الذهن بفكرى لماذا لا يرزقنى الله بعروسة حلوة مثلها ، ألقيت نظرة إلى يديها وهى تبحث فى

حقيبة اليد عن شيء لا أعرف ما هو ، وأنا ما زلت شاردا متأملا عينيها التي تسحر الألباب ووجهها المشرق ببياض النهار الممزوج بحمرة الأصيل. وفجأة دخل الساعى حاملا الشاى وهو ينظر إليها ممصمصا شفتيه فنظرت إليه فابتسم قائلا..

- اتفضل الشاى يا سعادة البيه..

- طب شوف المدام تشرب إيه..

* لا.متشكرة..

- ما هو لازم أى حاجة: هات شاى يا عم عبده.

* طبعا حضرتك عرفت أننى آتية لكى نراجع الفواتير المرسلة منكم.

- طيب وماله.. أى خدمة.

* بس أنا..

-أنت إيه..

* بصراحة نسيت الفواتير فى البيت.

-طب نخليها لبكرة إن شاء الله..

* لا يا أستاذ وحيد ، ولا بكرة ولا حاجة ، النهاردة برضه. لأن نهاية السنة المالية قربت ومطلوب منى تسليمهم غدا.

- النهاردة كيف. هاتلحقي تروحي وتحضريهم قبل الساعة واحدة.

* لا أنا أقول..

- تقولي إيه ؟

* أقول يعني ممكن تراجعهم عندي في البيت.

- ونظرت إليها وأنا أقول في سري يا واد إنها فرصة لا تعوض وسوف تنعم فيها بالراحة وستدخل منزل لم تدخله من قبل ومين عارف يمكن تلاقي عندها عروسة حلوة الواحد يتجوزها وخلاص. فقلت لها

يعني..!!

* نعم لكن أرجو ألا أكون ضايقتك..

-لا أبدا.

* هذا هو العنوان وأنا منتظراك الساعة الثامنة مساء.

- إن شاء الله.

وفي تمام الساعة الثامنة كنت أقف بباب منزلها أدق الجرس، وسرعان ما فتح الباب وخرج صوتها الناعم قائلا..

* اتفضل ، أنت جئت في ميعادك ، أنا لم أكن أعتقد أنك ستأتي .

كانت ترتدى روبا لونه أخضر ، يعطى البهجة للنفس المتعبة ، وكانت تضع على وجهها مكياجا يزيدها حسنا وتألقا وجلست على الفوتيل المجاور لحجرة النوم..

* ماذا تشرب ؟

- قهوة لو سمحتى..

وخرجت منها ضحكة رنانة.. قهوة إيه يا أستاذ ؟؟ قول ويسكى..

فنظرت إليها متعجبا ويسكى.. لا مش معقول.

- بس أنا..

* إنت إيه..

وتمخطرت فى مشيتها وروبها الأخضر إلى الحجرة المقابلة ، وأحضرت زجاجة ويسكى وكأسين وجلست بجوارى تفوح منها رائحة العطر المثير فى جسدها ، ومدت يدها بكاس وهى تقول.. أتفضل..

- لكن أنا لم أشرب الحاجات هذه قبل الآن.

* معلهش اشرب معايا..

وأمسكت بالكأس وقدمته إلى فشربت منه جرعة ثم جرعة ثم مرة واحدة أفرغته فى جوفى.. وبدأت فى الانتقال إلى مرحلة الأحلام والخيال .. وبحثت عنها بجوارى

فلم أجدها.. فناديت عليها. وخرج صوتها من حجرة النوم فقمت مترنحا إلى الحجرة..

- الله !! أين الفواتير ؟

- أهم تعالى هنا راجعهم..

وسرت إلى داخل الحجرة فوجدتها مستلقية على ظهرها فوق السرير وهى تضحك ضحكة عالية فوقفت مضطربا فقامت وأخذتنى من يدى وجلست بجوارها وأنا أنظر إليها نظرة الجائع المحروم فى نهم أود أن ألتهم هذا الجسد الذى يجلس بجوارى ..

فمددت يدى فوق شعرها المرسل وأنا أحاول أن أحصل منها على قبلة وبكل قوتى وضعت يدى فوق كتفها وراحت شفتاى تداعب شفتيها.. وكانت تبتسم ابتسامة خفيفة وهى تقول..

- انتظرأخلع ملابسك أولا...

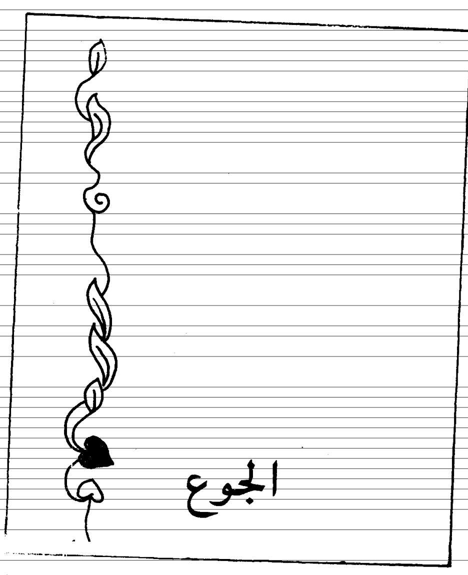
وما أن سمعت ذلك حتى ألقيت بكل ما هو قماش من فوق جسدى ، وارتميت فى أحضانها أوسعها القبلات على وجهها ثم عنقها المرمرى وأحسست بالنشوة تمزق جسدى وفتحت لى أزرار الروب فنزلت بقبلاتى المسعورة إلى نهديها ومزقت السوتيان من شدة الهياج والجوع والحرمان الذى تجمع فى هذه اللحظة.

وقضيت ليلتى معها وفى الصباح خرجت من عندها
وأنا أقول..
- لن أراجع الفواتير اليوم ..
فنظرت إلى بخبث وهى تغمز بعينها..
وسرت فى طريقى إلى العمل

وكانت ليلة...

***




الجوع

... نحيب الأطفال بحثا عما يسد به رمق الأفواه ، ويسكت عراك الأمعاء ، وصمت الأم فى ألم دفين يسيل الدمع على خدها دماء من القلب الحزين كل هذا سياط من العذاب تمزق قلبى وتستحل دمعى.

... بالأمس عند الغروب ، سائر بين الدروب بحثا عن مجهول لا أمل له فى شروق ألتقيت ويا ليتنى ما رأيت.. لقد رأيت شقاء بنى الإنسان وعذاب الحياة وحزن البشرية جمعا مجسدا فى امرأة مجللة بالسواد تحمل وليدا فوق الفؤاد يبكى بكاء يقطع نياط القلب طلبا للطعام لمعدة تصرخ دون عقل واتزان والمسكين لا يعرف من الدنيا غير أنه جائع عطشان يبحث عن الدفء والحنان ولقمة لا يعرف لها مكانا.

... والبد الحنونة يد أم ثكلى تربت الظهر تسبقها دموع تروى الخدود الذابلة بفعل الفاقه ، وهى ترده نم يا ولدى فالطعام بعد قليل آت من عند الرب رازق الأحياء وناصر الضعفاء..

ويزداد النحيب ويعلو الصراخ..



وتهمس الأم فى أذن من بح صوته فى توسل ورجاء بكلمات لا معنى لها إلا أنها ترهب عقل الصغير حتى يرتد خوفا من مجهول لا يراه..

- إن لم تنم ياهشام فسوف تأتى القطط والفئران لتأكل أذنيك هيا ياحبيبى لتنام ..

وترفع الوجه المبلل بالدموع إلى السماء فى توسل ورجاء.. رباه..

يا من خلقت وليدا فى ليلة مجللة بالشقاء ليلة أخذت فيها أبيه وهو يصارع الحياة. يسبق الليل والنهار بحثا عن لقمة يسد بها رمقه ورمقى. خوفا من تشرد بين جوع وقسوة حياة لا تلين إلا مع من معه المال الكثير..

رباه..

لقد تحملنا الهم ليلا ونهارا فهل تنسى يا رب عبدك الضعيف المنهار فى أرض الأقوياء بالمال المدنس، الحرام الذى جمع من شقاء الضعفاء لينعم به أصحاب الأيدى الناعمة ويحرم منه اصحاب الحق:

وجثوت بالقرب منها..

- مالى أراك تبكين والطفل فى حالة من الاعياء غير منقطع العويل هل تبغين شيئا أم أنه سر دفين..

فقالت :

- من أنت يا مسكين.. ألست انسانا تفرح
وتبتسم لعذاب الأطفال ؟...

وبطرحة.. سوداء تأخذ منها غطاء للرأس مسحت دمعة
شاردة جاءت تجرى فوق الخد هاربة من أعين أحالها الشقاء
إلى محاجر لا حياة فيها ولا بقاء..

ونظرت إلى وأنا أقول..

- كلا يا أماه.. أنا بشر والبشر فيهم الحنان
والعطف على الصغار والكبار من الضعفاء
واعطائهم الحق المهان.

- لا يا بنى لا.. انها نشوة تستبد بكم لرؤية
الدموع والدماء وسماع بكاء الأطفال وتفريق
الأبناء والآباء كل هذا فعل البشرية الحمقاء.
أرجوك اتركنى أنعم بالهدوء والسكينة مع الله
القادر ، خالق العالم وراعى المساكين .. اتركنى
فإنه قدر محتوم ولا مفر من المصير ..
واستبد بي الشوق لاجلس معها ، وجلست وأنا أقول ..

- ومن ادراكي أنني مسكين ... ماذا تبغين ؟ .
هل ضاع منك شيء عليه تبكين ؟

وتحسرت متأوهة ..

- وهل بعد ضياع الإنسان ضياع .. طلبنا الطعام فجاء الموت محلقا فى الآفاق مسرعا كالبرق يخطف الأب قبل أن يراه من سهرنا الليل وعملنا النهار من أجل اسعاده بعد مولده ولكن هيهات فالقدر أقوى منافى تنفيذ الرغبات وتحقيق الأحلام والخيالات ..

وأحسست بالدموع تنهار فوق خدى وتختلج فى صدرى الآهات وأنا أربت على طفلها متسائلا ..

- ما اسمك ؟

ونظر الطفل إلى بخوف ورعب .. ثم بابتسامة أشاح بعدها الوجه عنى ..

ونطقت الأم ..

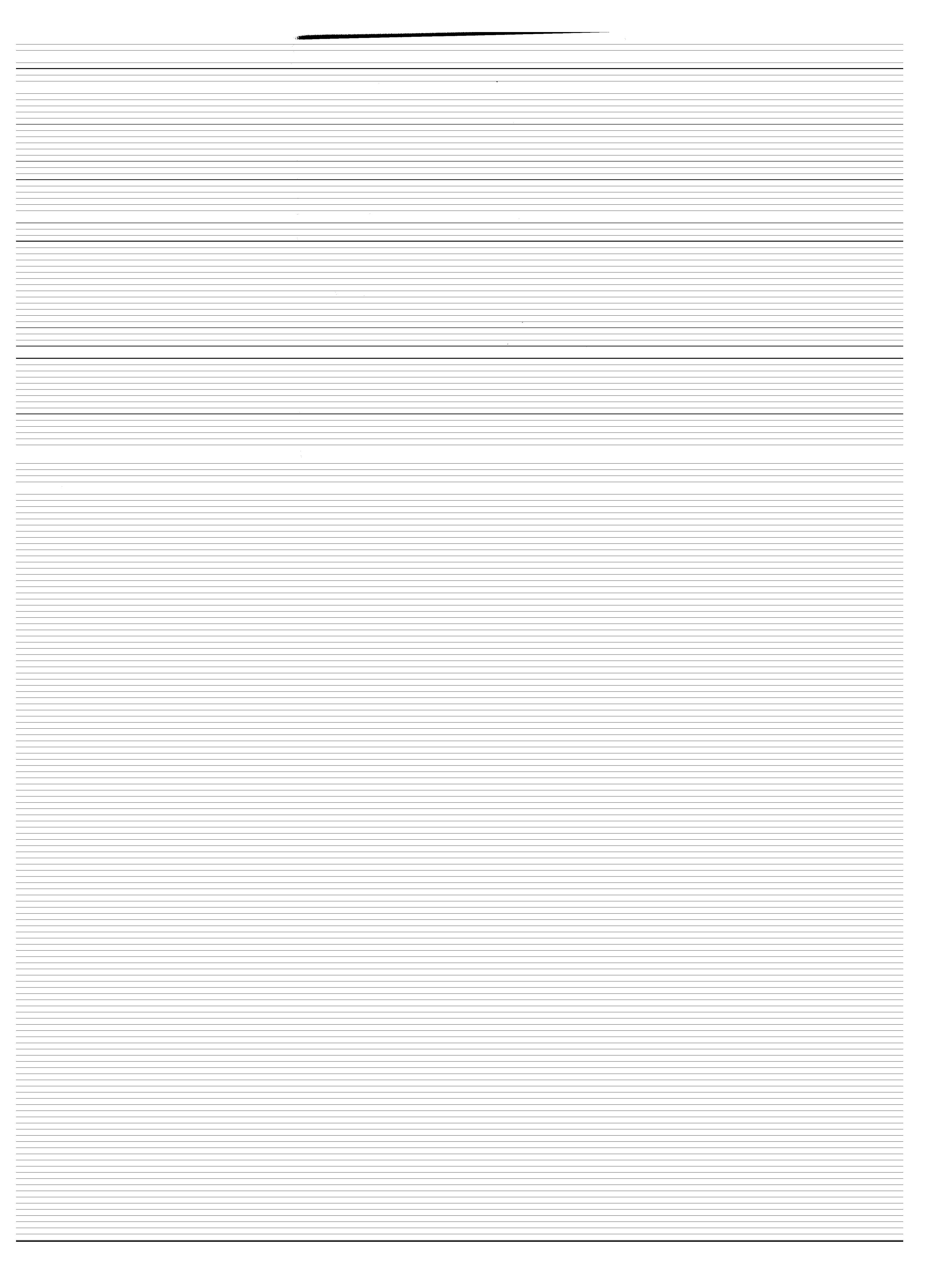
- هشام

فقلت..هيا يا هشام..وهيا يا أم هشام لتأكلان وتنامان فى بيت الغريب المهان بالنسبة لكما..وأشرقت السعادة واشاع النور فوق الوجه الحنون وابتسم الطفل الصغير وسرنا

فى الطريق ، نسبق الرياح .. فى اشتياق لصمت الجحور ونور المنازل هربا من واقع الحياة المرير الذى يشع الحزن والأسى من حولنا أينما سرنا التقينا بالمنبوذين من أفراد المجتمع الذين يعيشون ابتغاء سعادة لا جحيم وطعاما للأفواه لا أكثر ولا أقل ولكنه الجوع .. هو الذى يحدد

مصير الإنسان منا فى المجتمع البشرى فقد خلق الله الإنسان وتركه للصراع مع الشر والخير وفى النهاية سوف يحاسب على ما اقترف من أثم ومع ذلك نجد الإنسان منا لايدرى أين النهايه .. حتى تترابط النفوس البشرية وتتعاون لخدمة من كان بالحق مظلوماً وفى الفقر منكوداً .

* * *





لعبة القدر

انحسر القمر مغطيا وجهه الجميل مداريا ابتسامته المشرقة تحت كتلة من غيوم السماء تحث خطاها ببطء شديد ، والصقيع يلبد الجساد فتصتك الأسنان فى رجفة شديدة معلنة غضبها على الطبيعة التى لا ترحم صغيرا ولا من شيب الزمن شعره من بردها وصقيعها.

لقد كانت ليلة من أحلك ليالى الشتاء ، كان المطر ينهمر بشدة جاعلا الكل يحث خطاه للإلتجاء إلي أقرب مكان لحماية نفسه من السيول المنهمرة .

وطال انتظارى ولم تظهر فى الأفق بارقه أمل فى سكوت ضجيج السماء وغضبها ، فاتصلت بسهير زوجتى تليفونيا حتى اطمئن عليها وأطمئنها كان صوتها متهدجاً وهى تتكلم معى ، وعرفت منها أن سامح مستغرقا فى نومه منذ ساعات بعد أن طال انتظاره لحضورى . وودعتها على أننى سوف أعود بعد انتهاء عملى فى المكتب وتهدأ ثورة السماء



وبعد ان أشعلت سيجارتي وانتهيت منها قررت أن أنزل لكي أعود إلى المنزل .. ووقفت برصيف الشارع انتظارا لتاكسي ، وعندما تلفت يسارى إذا بي أجد طفلا صغيرا منكمشا على نفسه بجوار الحائط يحاول أن يستر أكتافه من الماء بشد ثوبه الممزق بقوة ولكن الثوب يزداد تمزقا . كان يبكي وهو يرتعش ويرتجف وأخيرا جلس القرفصاء شارد النظرات ، واقتربت منه أحاول أن أخفف عنه وابل الصقيع ، كانت عيناه تجولان في حيرة وخوف ووجهه الأبيض الجميل مغلفا برنة الأسى ، ووضعت يدى على كتفه وارتجف الصغير خوفا محاولا الهروب مني . وأمسكت بيديه وأنا اقول له لا تخف يا شاطر .. اسمك إيه ؟

وأحس الصغير باطمئنان ، أحسست به عندما رأيته يتطلع إلى وجهى كثيرا،وامتدت يده الصغيرة فى براءة الطفولة تداعب السلسلة التى أعلق بها المفاتيح فى يدى . إنه طفل صغير لا يعرف ما هو الخير أو الشر فى حياته ، لايعرف ماذا أكون أنا بالنسبة له وأخيرا بعد أن ألجمه الخوف نطق باسمه من بين أسنانه التى .. تصتك من شدة .. واحتمى بين أقدامى أكثر وهو يتهته باسمه قائلا:

- أنا اسمي سامح ..

ونظرت إليه بدهشة سامح اسم ولدى ، ما ألطفه من اسم ، ومرت بخيالي صورة طفلي وهو يحبو ويلعب ويضحك ما أشد براءة الطفولة.. إننا نعذب أنفسنا ونشقى حتى ننجب الأطفال وبعد ذلك لا نعرف ماذا ينتظرهم من مصير هل سيجدون طريقهم مفروشا بالزهور أم أنه سيكلل بالأشواك ؟

وأمسكت بالصغير وأنا اقول له :

تعال معي يا سامح لكي نتعشى .

فبكي وهو يحاول التخلص من يدى مرددا .. لا أبى يضربني .

- أين أبوك ؟
- في البيت .
- أين تسكن ياسامح ؟
- ساكن مع أبى وأمى .
- أين ؟
- في بيتنا ..
- وأين بيتكم يا شاطر ؟
- في الشارع الذى بجانب حسين البقال ..

وغمرنى حنان جارف أحسست خلاله بالدموع تحاول أن تمزق عينى لتخرج هادرة ، أحسست ساعتها بضياعى فى الحياة فما أشد بؤس البشرية! يارب ألا ترحم الأطفال الصغار المعذبين فى الأرض؟

وعدت إليه وأنا أسأله ..

- أين تذهب الآن يا سامح ؟ إوعى تكون ذاهب لتلعب .

- أنالم أكن ألعب ، أبى ليس معه فلوس لكى يحضر أكل لكى نتعشى.. وأنا الآن ذاهب لبيت عمى لكى أقول لمراة عمى أمى تقول لكى شوفى معاكى خمسة صاغ لحد الصبح ، ثم أبى قال لى هات بها عيش من حسين البقال.

وأحسست بغصة فى فؤادى تمزق أحشائى ، أيوجد فى المجتمع البشرى أناس تعيش ولاتجد مايكفى لسد الرمق ؟ أيوجد من يعيش حياته وهو لا يدرى شيئا ؟ آه منها تلك الحياة وأحسست بالصغير يرتجف بين يدى وأنا أفكر

- ألم تذهب إلى المدرسة ياسامح .

- ذهبت للمدرسة لكن لن أذهب ثانية لأن الأبلة تضربنى .

- ولماذا تضربك ياسامح ؟

- لأنها تريد منى كراسة وأبى قال لى أنا ليس معى قرش صاغ انتظر للغد أحضر لك كراسة.

وأخرجت يدى من جيبى وهى تحمل عشرة قروش لكى أعطيها للصغير ولكن ماذا يجدى هذا ، إذا كانت الأسرة تعيش على الكفاف . لقد قررت أن أذهب معه إلى المنزل فما ذنب هذا الطفل حتى يحس بالشقاء .. ويعيش فى البؤس والتعاسة ما هو المانع أن يعيش هذا الصغير بين أسرة سعيدة تنعم بالحياة ، متدثرا بالأغطية الثقيلة ، يبتسم فى مرح وسعادة سوف تقولون أنها إرادة الحياة لا .. ليست هذه هى الحياة التى خلقنا من أجلها .. لقد أراد الله لنا السعادة ونحن بأيدينا نخلق الشقاء .. رحماك يارب رحماك ..

ورفعت وجهه بيدى وأنا أبتسم قائلا :

- طب ماهو رأيك ياسامح لو ذهبنا نحن الأثنين إلى البيت عندكم لكى أسلم على بابا..

ورأيت الصغير وهو يتنفس بسرعة قائلا :

- هل أنت تعرف أبى ؟

- نعم يا سامح..

كنت أقول له نعم وأنا فى قرارة نفسى أقول نعم أعرفه هو زميل لى فى الحياة هو أخى فى الكفاح نعيش معا لنصل بالإنسانية إلى أعلى درجة من درجات السمو ، وهى الأخلاق ليست الأخلاق فى نظرى تعنى الشرف والعزة والفضيلة إنما الأخلاق هى الشرف فى كل شىء والفضيلة والعفة فى كل مكان فى العمل .. فى البيت فى الحياة فنحن نعيش فى مجتمع مازالت الأخلاق فيه تكمن فى الشرف والعفة الجنسية وتترك شرف المهنة جانبا .. لم نحاول أن نسعد انسانا وإذا حاولنا ذلك فلابد هناك من سبب يدفعنا إلى ذلك .. لماذا لا نتعاطف ونضع اليد فى اليد ونحاول أن ننتشل هؤلاء البؤساء من أحضان الفقر والجوع .. أليس الجوع والحرمان هو الشىء الوحيد الذى يدفع الإنسان منا لارتكاب المحرمات .. فى سبيل ارضاء طفل يبكى يطلب قرشا . إن الحرمان هو أقسى درجات العذاب الذى يمر بنا هو الموت بعينه فماذا تعنى الحياة بالنسبة لنا إذا كنا نعيش محرومين من أبسط شىء فيها وهو الطعام.

وعدت إلى رشدى وأنا أسحب الصغير من يده وكان قد توقف عن الانهمار ورأيت القمر مشرقا وهو يبتسم

لنا ، لقد فرحت السماء بهذا العطف الذى اسبغه على الصغير ، لقد احسست بالسعادة والصغير فى يدى مع أنه رث الثياب حافى القدمين .. لقد أثر فى نفسى منظره أيما تأثير . أحسست بأن السماء ترقص والأرض تدور فرحا بالإنتصار على البشرية فى سبيل الإنسانية التى تكمن فى صدورنا .

وسرت أنا وسامح حتى وصلنا إلى حارة ضيقة فى إحدى الشوارع المتفرعة من الشارع العمومى ، كانت الشوارع مظلمة والحارة أكثر ظلاما وفى منتصفها وقفنا أمام بيت متهدم وطرقت الباب فخرجت سيدة متشحة بالسواد ، تستند على الحائط لكى لا تقع وهى تردد يارب استريا رب .. وعندما رأت الصغير أمامها احتضنته وهى تقول له :

ما الذى أخرك يا سامح خضيتنا عليك ؟ ادخل يا حبيبى المطر أغرقك أليس كذلك معلهش ..

وأمسكت بالصغير وهى تربت عليه ونظرت إليها وأنا اقول ممكن أدخل ..

وفى رنة أسى وحزن قالت :

اتفضل يا سعادة البيه أى خدمة يا رب أستر يا رب ..والتفتت إلى سامح وهى تقول :

انت عملت حاجة يا واد بره ؟

وحاولت أن أجعلها تطمئن .. فقلت لها:

أبدا ياحاجه ليس هناك شيء، أنا وجدت سامح واقف فى الشارع تحت المطر فأحضرته إلى هنا.

ودخلت أمامى وهى تنادى يا أبو محمود فيه ضيف جاء.. كانت تسير وهى ترتدى ثوبها الممزق الأكمام تغطى رأسها بطرحة سوداء بها بعض الرقع وفى قدميها بقايا حذاء قديم ، وتقدمت إلى داخل المنزل وأنا أسمع صوتا متحشرجا من خلال باب الحجرة وهو يردد أتفضل .. ادخلى يا أم محمود ..

ودخلنا ويالهول ما رأيت ، رأيت البؤس والشقاء ، رأيت حياة هى حياة الجحور بعينها ، كان الجميع يقطنون فى غرفة عارية من كل شيء ، حتى الحوائط لا بياض بها ، وكان هناك ضوء لمبة غاز صغيرة معلقة بالحائط بجوار باب الغرفة ترسل شعاعا ضئيلا وكانت بالأرض قطعة من الحصير لا أقدر أن أقول عليها حصيرة بل هى أبعد ما تكون عن ذلك .. كان يرقد عليها رجل ممددا جسده فوق البقايا

منها وهو يرتدى جلبابا باهت اللون به رقعة من الامام ويربط راسه بغطاء من القماش الأبيض .

ورأيت الام وهى تبحث عن شىء أجلس عليه كانت تلف وتدور فى أركان الحجرة الاربع ولكن من أين لها من شىء لقد كانت الحجرة خالية ، وجلست بجوار الرجل أحاول أن أعرف ما به ، وحاول الرجل أن يجلس مستندا على الحائط ، واكتشفت أنه ضرير لا يرى ، فأمسكت بيده وأجلسته وكانت الام فى هذه الأثناء تريد أن تقوم بالواجب نحوى ولكنها عجزت فمن أين لها المال .

كان الرجل قد جاوز الخمسين فوق وجهه خطوط عريضة تعبر عن البؤس الذى يعيش فيه وبعد أن مسح الرجل دمعة سالت على خده وأخذ آهة ارتياح كبيرة تكلم قائلا ..

لقد كنت يا بنى بأشتغل الليل والنهار أشتغل فى صمت كنت أشق الحجارة فى الجبل عند أحد المقاولين كانت حياتى سعيدة لا يمنعنى مانع من العمل لم يعرف المرض يوما طريقه إلى جسدى..كنت كالثور أخرج فى الصباح وأعود مع

غروب الشمس محملا بماطاب ولذ من الأكل والثمار كان لا ينقصنى شىء وفى يوم من الأيام بينما نحن منهمكون فى العمل وبعد أن تم تركيب الديناميت لنسف الجبل فجأة انفجر الديناميت وانهار الجبل بدون أن نشعر ولم أشعر بما حدث بعد ذلك .. لقد وجدت نفسى ملقى على أحد الأسرة فى المستشفى فاقد البصر "نعم ضاع كل شىء" وطردت من العمل بعد ما أخذت مبلغ عشرين جنيها كمساعدة من المقاول وعشت أنا وأولادى .. فاقد الأمل "كان ابنى الأكبر يعمل فى العريش وهو الذى يعولنا بعد هذا الحادث كان يبعث لنا ما يكفى كل أول شهر ومن يوم ما قامت الحرب ونحن لانعرف عنه شيئا" وانتظرنا وطال انتظارنا وعرفنا بعدها أنه قد مات .. كنا قد صرفنا كل ما نملك ، بعنا كل شىء انتقلنا من هنا وهناك حتى استقر بنا الحال هنا واصبحنا نعيش على ما تكسبه الست بتاعتى من بيع الخضروات ، لكن اليوم لم تخرج للسوق لأنها كانت مريضة وهى تكسب ما

بين عشرة صاغ وسبعة صاغ فى اليوم ..لقد أعوزتنا الحاجة ولكن ماذا نفعل إذا كانت هى إرادة الله .

وسألته ألا يوجد معك بنات ؟

معى بنت واحدة خرجت من المدرسة بعد ما أخذت الإعدادية واشتغلت موظفة مدة ولكنها الآن متزوجة وتسكن بعيدا عن هنا وهى تزورنا من وقت لآخر .

وأخرجت منديلى وأنا أجفف الدموع التى وجدت لها مجرى فوق خدودى حزنا وألما على هذه الأسرة التى تعيش فى بؤس وشقاء ..

واستأذنت للخروج إلى الشارع اشتريت لهم طعاما واشتريت بكل ما كان معى أقمشة وملابس واغطية ، وعدت مسرعا وأنا أحمل كل هذا بين يدى وعندما طرقت الباب سمعت صوتا لم أصدق أنه هو كان صوت سهير زوجتى وانفتح الباب وأحسست بجسدى يهتز وقفت مذهولا لحظات وأنا أردد .. سهير مش معقول ماالذى أتى بك هنا .

واقتربت منى سهير وهى تقول :

حاتم أنا آسفة أرجوك سامحني أنا حاشرح لك كل حاجة بعدين المهم أجلس الآن .

ونظرت إلى الأم وهي تقول :

- مالك يا بني .. هذه سهير بنتي أحضرت شوية أكل وقدمت لرؤية أباها وأخاها سامح ولنرها نحن لم نرها من أسبوع .

وقفت حائراً وأنا أتساءل بيني وبين نفسي - ماذا افعل الآن كيف أتصرف .. لقد خدعتني وأدعت أن اسرتها تركتها وهي صغيرة وهي لا تعرف عنهم شيئا الآن وها هي تجلس معهم .

واقتربت مني سهير وهي تردد ..

حاتم أنا حاقولك كل حاجه .. أنا عارفة أني خدعتك وعارفة أني ضحكت عليك لكن هذا كان غصب عني لقد كنت مجبرة أن أفعل ذلك حتى أتمكن من الإقتران بك .. إن قصة الحب التي عشنا فيها هي التي دفعتني لكي أكذب عليك ، كنت أعتقد أنك لو عرفت الحقيقة سوف تتركني كنت كلما حاولت أن أصارحك بالحقيقة .. وأقول لك أنني من أسرة فقيرة معدمة تعيش على

الكفاف وتسكن فى احد الأحياء الشعبية الفقيرة .. أخشى أن يدمر هذا القول حياتى ويجعلك تنظر إلى نظرة إشفاق و عطف بدلا من نظرة الحب التى تصبغها على ، لذلك فضلت أن أقول لك أننى يتيمة الأب والأم على أن أعرفك بهما .

وبعد أن تزوجنا كنت انتهز كل فرصة تسنح لى وأحضر إليهم لكى أراهم واليوم عندما عرفت أنك سوف تتأخر فى الخارج قررت أن أحضر لكى أرى والدتى لأنها كانت مريضة عندما كنت عندها آخر مرة .

وأننى أرجوك الآن يا حاتم بعد ما عرفت الحقيقة أن تغفر لى كذبى عليك وخداعك وأننى على استعداد للأختفاء من حياتك فورا إذا كانت أسرتى لا تعجبك .. طلقنى يا حاتم بدون ندم فأنا المذنبة فى حقك ولكن أترك لى سامح فهو كنزى الوحيد وحياتى الباقية .

واجهشت سهير بالبكاء وهى تردد أغفر لى يا حاتم .. أغفر لى يا حاتم .

وافقت من ذهولى وأنا أرى الجميع من حولى فى ذهول .. الأم تجفف دمعها والأب ينصت باهتمام بالغ وهو يحاول أن يقول شيئا لا أعرف ما هو .. لم أسمع شيئا غير صوت سهير وهى تقول :

لا تبكى يا أمى فنحن نعيش دون أمل لن نقدر أن نهرب من مصيرنا لقد هربت من حياتى الطبيعية إلى حياة كنت أظن أننى سوف أجد بها السعادة ووجدتها فعلا بجوار حاتم ولكن تلك السعادة كانت مشوبة بالحرمان الذى أعيش فيه الحرمان منكم .. أنت وأبى وأخى سامح .

وأمسكت بيديها وأنا أقول لها :

جففى دمعك يا سهير لا تحزنى لقد كذبت على وهذا خطأ كبير ولكنى سأغفر لك هذا .. لقد كنت فتاة صغيرة تبحث عن الحب تبحث عن الشقة الفاخرة والعربه ، كان المال هو كل شىء فى حياتك ، ونسيت أن الحياة البسيطة فى ظل الحب هى كل شىء .. لقد خجلت يا سهير من أن تظهرى أسرتك فى المجتمع لقد عشت فى قلق منعك من البوح لى عن مكان أسرتك أو عن مركزها الإجتماعى وأحب أن أقول لك يا سهير

بان ما فكرتي فيه وهما كبيرا أنني لو كنت عرفت الحقيقة ما كنت تمنعت عن الأقتران بك .. أنني عندما رأيتك ، ورأيت فيك الابتسامة المشرقة والوجه المرح ورنة الأسى التي تغلف صوتك لم أتساءل من أنت ولا أين تسكنين .. بل تساءلت أتصلحين زوجة أم لا.
ووجدت عندك كل المؤهلات المطلوبة في نصفي الآخر كان آخر ما فكرت فيه هو أسرتك ، لقد تزوجتك انت ولم أتزوج أسرتك وأظن يا سهير أنك تعرفي ما هي المبادىء التي أعيش عليها ولي أمل كبير في أن تتحقق في المجتمع الذي يجمعنا أنت تعرفين جيدا انه لا يوجد فرق بين إنسان وآخر وإنما المال هو الذي يخلق الطبقات ويظهر الفوارق ، هو المال الذي يشتت الأهل ويفرق بين الأصدقاء ..
هل تستطيعي أن تعرفيني ما هو الفرق بين أسرة في رغد من العيش وأخرى فقيرة ، أليست هذه الأسرة الفقيرة خلقها الله ولها حق الحياة مثل الأسرة الأخرى التي تعيش في وسط أكوام من المال المكدس، الذي لاتعرف كيف يستفاد به..غير

والاسراف والمظاهر الكاذبة فما هو ذنب الطفل الصغير الذى يشب أو يولد فى وسط أسرة فقيرة حتى نحرمه من الحياة.. لا يا سهير .. هيا ضعى هذا الطعام لكى نأكل كلنا ، ومن غدا إن شاء الله ، أسرتك سوف تعيش معنا فى الشقة وأنا أحضرت قماشا هاهو خذيه معك فصليه بمعرفتك وخذى أفرشى البطانية دى على الأرض كى يناموا عليها إلى الصباح.

وبعد ما انهيت كلامى رأيت الجميع يلتفون حولى وهم لا يصدقون أننى لن اتركهم ، ورأيت سهير ترتمى فى أحضانى وهى تجهش بالبكاء ..مش معقول يا حاتم مش معقول أنك لست زعلان منى أرجوك سامحنى وجففت الأم دمعها وهى ترفع يديها تدعو لى بالستر وطول البقاء وقام الأب فرحا وهو يقول .. تعالى هنا جنبى يا بنى تعال لكى أضع يدى فى يدك أنا والد مراتك وجد أبنك سامح واقتربت منه أخذت سامح نجلى بين أحضانى وأنا أرى السعادة تشع من الجميع وهم يضحكون ولا يعرفون كيف يشكرون

وأكلنا فى سعادة ومرح .. ووجدت للطعام طعما لم أتذوقه من قبل كان شهدا كأننى لم أتذوقه من قبل منذ مدة طويلة وكم كنت سعيدا وأنا أرى الجميع من حولى يلتهمون الطعام فى سعادة بالغة وفرح تام ..

وخرجت أنا وسهير ، وصممت على أخذ سامح معى .. لكى ينام مع سامح نجلى الصغير وأنا أبكى على هؤلاء الذين يعيشون فى المجتمع ولا يجدون الكفاف وأبتسم فى أمل وثقة لأننى أدخلت السرور على أسرة كانت تعيش فى مجتمع غريب ملىء بالطبقات والفوارق الإجتماعية.

ومن يومها ونحن نعيش جميعا فى منزل واحد يربطنا رابطا واحدا هو الحب ، وكانت ليلة لا تنسى فهى ليلة من حياتى.

* * *




الحب الدامى

كنت لا أدرى شيئا عن الحياة وأسرارها خالى البال أعلم أن كل إنسان منا يقوم برحلة منذ مولده حتى موته . رحلة غريبة نقوم بها فى كل لحظة من لحظات الحياة . كنت لاأدرى أن الدنيا فرص وعلينا أن نغتنمها ، فهى دنيا ظالمة ، فالقوى يأكل حق الضعيف ، والفاجر ينتهك حرمة الغافل . فيجب على الإنسان لكى يستطيع أن يعيش فى هذه الدنيا أن يكون قاسيا .

كنت أعلم أن عواطفنا تلعب دور البطولة فى حياتنا ، حتى عرفت الحب وأردت أن أجربه ، واتذوق طعمه الذى أسمع عنه لم أكن أعلم أنى على موعد مع القدر مع الشقاء مع كل تغير طرأ على حياتى بسبب هذا الحب الذى امتلك كيانى وجعلنى أعيش شاردا.

خرجت اليوم من منزلى وأنا خالى البال لزيارة صديقى عبده فى المستشفى الذى كان يعالج بها ، وقد جاوزت الساعة


سعير بروى

الخامسة مساء ، وجلسنا سويا نتحدث.. وفجأة قطع حديثنا دخول فتاة خمرية اللون ترتدى بالطو كاروهات أحمر ، ونظر كل منا إلى الآخر نظرة لا معنى لها وبعد إنصرافها أحسست بدافع يدفعنى للتحدث إليها. وسألت عبده عنها فقال أنها مشرفة الطعام وعادت بعد برهة ، وعندما دخلت الغرفة حاولت التعرف عليها ، فطلبت من عبده أن يناديها للتحدث معها وجاءت واتكأت على السرير وقام عبده بتقديمها قائلا.. الآنسة نصرة فرددت عليه أهلا وسهلا.

ونظرت إليها وأنا أقول الآنسة ساكنة فى شبرا فهزت رأسها بابتسامة علامة الإيجاب ، وبدأت أتحدث معها فى شتى المواضيع وهى تنصت وتناقش بأسلوب ساحر جذاب.. وبعد انتهاء فترة الزيارة قمت للانصراف. فسلمت عليها فأحسست بحنان لم أشعر به من قبل ولم أعرف ماذا أقول من كلمات وحاولت أن أدارى خجلى فأخذت منها مشبك للشعر كان بيديها ، وعدت إلى المنزل وأنا أحمل بين طيات قلبى حبا ملك احساسى وفكرى وعقلى ومضى الوقت وأنا أفكر فيها وحاولت أن أنام ولكن هيهات ، فقد فر النوم من عينى ومرت بى الأحداث البسيطة التى حدثت اليوم كأنها أحلام وخيالات.

كنت قد أفهمتها بأننى أعمل موظفا بإحدى السفارات العربية وعندما تذكرت ذلك خجلت لماذا كذبت عليها فى أول مرة التقى بها ولم أجد تعليلا لذلك.

وجاء اليوم الثانى وعدت مسرعا من العمل فى شوق جارف لمقابلة نصره ، وعندما انتهيت من قطع درجات السلم رأيتها تخرج من المطبخ فنظرت إليها وأنا أبتسم وبادلتنى الابتسامةوهى ترفع خصلة من الشعر تدلت فوق جبينها.

وجلسنا مع عبده ما يقرب من الساعة وأثناء حديثنا قلت لها لماذا لا تتركين شعرك على وجهك فهو يزيدك جمالا وسحرا فابتسمت فى خجل وهى تحاول الهرب من الإجابة وأخيرا انطلق الجرس يعلن انتهاء موعد الزيارة فلعنت فى سرى هذا الوقت الذى كنا فى احتياج اليه وإذا به يسرع ، وتركتها بعد أن إلتهب قلبى بنار حبها.

لقد التقيت بها على درب من دروب الحنان وعشت مع هذا الجمال لحظات لم أكن أميز شيئا غيرها. كانت ملء المكان الذى أجلس فيه لقد أصبحت ملء خاطرى واتخذت لها بين حنايا ضلوعى مرقدا وهيأت لها بين ثنايا قلبى مضجعا كان لا يمر بى يوم دون أن ألقاها ، ذهبت اليوم فى موعدى العادى وأنا فى لهفة وشوق ورأيتها تسير فى

الممر.. تسير على دقات قلبي المسرعة

وجاءت لتسلم على وقد تركت شعرها فوق كتفيها لقد نفذت رغبتي ، وابتسمت لها وأنا أقول هكذا أحسن ووقفت بالباب والابتسامة تعلو شفتيها وأنا أقدم صلاتي الصامتة إلى هذا الجمال الذى أسرفت الطبيعة في التعبير عنه.

كانت ذات جسد وسط وشعر مرسل كأعماق الليل الذى يتجلى وصدر نافر ثائر يطلب الانطلاق ووجه مشرق ببياض اللين الممتزج بحمرة غروب الشمس وعيناها سوداوان واسعتان تحرسهما أهداب بنية اللون كأنها حراب وفمها كحبة الفراولة تحيط به شفتان من الزمرد والعقيق وأسنان هي اللؤلؤ والمرجان تنقصهم سنة في الجانب الأيمن في الصف الأعلى وكأنها خلقت كذلك لتزيد من جمالها.. نعم كانت ملاكا خرج من الجنة يلبس أثواب الجمال المنقوشة بزهور الحب.

وعدت إلى رشدى من هذا التأمل الصامت في هذا الجمال الذى يقف في خشوع أمامي.. عدت إلى صدى صوتها وهي تقول مابك.

- أبدا كنت أفكر في جمال الطبيعة وأجمل مخلوقة تقف الآن أمامي.. ومددت يدى برسالة كنت كتبتها فأخذتها ووضعتها في جيبها ولم تتكلم وانصرفت وهي تطلب منى الحضور غدا

لقد أحببتها بشيء من الخجل لم أقدر على البوح لها بحبي ،ولكن الحال تبدل وصرت أحبها لكثرة التفكير فيها ثم أصبح حبها يغلى فى عروقى كما تغلى الحمى فى دم المريض .

لو كانت النظرات تفصح ، وضغط الأيدى والابتسامة التى تتلاعب على الشفتين والاحمرار السريع الذى يصبغ الوجنتين ، لو كان ذلك يعنى الحب فإن نصرة تحبنى دون شك وقررت الاقتران بها ما لم تكن هناك عقبة في طريق زواجنا بل كان مستحيلا أن تقوم أية عقبة.

ومددت يدى لأودعها إلى الغد وأنا أنظر إليها فى ذهول متأملا عينيها وشعرها وجسمها الرشيق وقدها الجميل ويدها الصغيرة وهى تحرك بها العقد حول عنقها وتضعه فى فمها بدلال يثير فى الرغبة فى امتلاكها وفكرت فيما يلوح عليها من علامات الطهر والسذاجة وهى مازالت بعد فى العشرين من عمرها ، فى نقاوة الزهرة حين توشك أن تتفتح ، ولم تعلم شيئا بعد عن العالم الذى تقف على عتبته غير مقدرة تأثير جمالها على نفوس الرجال

ومضت الأيام وخرجنا سويا للذهاب إلى المسرح فى هذا اليوم كانت ترتدى فستانا بنفسجيا وشعرها متهدل على كتفيها

طفقنا نتحدث بسرور دون أن نأبه لشيء من حولنا وأنا أصغى إلى حديثها العذب الهادىء فى شوق كما لو كان محدثى أعلم أهل الارض وأكثرهم حكمة وأوسعهم معرفة. وعندما ارتفع الستار مددت يدى إلى شعرها المنساب على أكتافها وأمسكت بخصلة منه وأنا أقبلها ، إن الشعر الطويل هو الشىء الوحيد الذى يجعلنى أخضع للمرأة - عندما امتدت يدى إلى شعرها ارتسمت ابتسامة فوق شفتيها وهى تقول أرجوك بلاش كده نحن فى مكان عام ولكنى أسكتها بقبلة فوق فمها قبلة هى العسل والشهد قبلة لم أرتو منها.

وعرفت من يومها أنها تعيش مع أخواتها البنات الاربع مع أمها حيث أن أباها متوفى منذ عامين ، وأمسكت بيديها وأنا أقول لها:

- نصرة إننى أود أن أتحدث إليك فى أمر هام..

فظهرت على وجهها علامات الدهشة وصعد الدم إلى وجنتيها وتفجرت من فمى جميع عواطفى المحتبسة وسالت فى ألفاظ سريعة رقيقة راحت تقتتل بين شفتى اقتتالا تكلمت عن جمالها وفتنتها وحبى لها والسعادة التى تنتظرنا إذا تزوجنا.

فرأيتها ترتجف ثم هدأت وتركت يديها بين يدى قائلة:

- صحيح يا أحمد تريد الزواج منى ، وتريد ذلك سريعا..

-نعم سريعا جدا بل إننى أكون أسعد أهل الأرضيا نصرة إذا رأيتك زوجتى غدا.

وسمعتها وهى تهمس .. أحبك .. فأنت طيب القلب .. سنكون سعداء ، سعداء جدا ، آه ما أعظم حبنا كان لها وجه صور فيه أبرع المصورين كل معانى الصبر والحكمة والجمال وهى تنطق بهذه الكلمات.

وأثناء خروجنا من المسرح التقيت بحسام صديقى الذى لا أخفى عنه شيئا فى حياتى وتم التعارف بينهما.. وطلبت منها أن تعتبره كشخصى ولا تخفى عليه شيئا.

ومضت الشهور والأيام وعرف الجميع بأننى أحب نصرة وسوف أتزوجها.وقد تم كل شىء بسرعة وفى هدوء تام ، وتوجهت أنا وأسرتى لتقديم الشبكة وتمت الخطوبة.

ولكن فى هذا اليوم رأيتها تنظر إلى نظرة غير طبيعية..لقد تبدلت وهى تنظر إلى بعيون بها مكر ودهاء..ولكن لم أعمل لذلك أهمية وقلت فى نفسى يجوز

وعدت إلى المنزل وأنا أعيشمع الأحلام والأمانى لم أكن أعرف أن النساء من فصيلة غريبة من المخلوقات بعضهن قاسيات القلوب وبعضهن معتوهات والبعضخائنات.

وصحوت اليوم من النوم مبكرا وأقبلت على العمل بنشاط نسيت معه كل شيء إلا نصرة سوف تتصل بى تليفونيا اليوم بعد أن علمت من أختها ذلك بالأمسلقد عشت طوال الليل على هذا الأمل.

ومضى الوقت طويلا ولكنها لم تتصل بى وفجأة فى تمام الساعة الثالثة رن جرس التليفون فقمت إليه مسرعا وكانت هى ولكنها كانت تتكلم بصوت مليء بالاسى والحزن فحاولت أن أعرف منها السبب ولكنها قالت انتظرنى اليوم عند حسام وسوف تعرف كل شيء. بعد هذه المكالمة شعرت بضيق فى صدرى وشعور غريب ملك احساسى.

المهم ذهبت إلى حسام فى الموعد المحدد وهو الساعة السابعة مساء وبعد أن شربنا الشاى حاول أن يعرف ما بى ولكنى قلت له أننى أنا نفسى لا أعرف شيئا.

وفجأة رن جرس الباب فقمت مسرعا وفتحت الباب.فأنا في أشد الشوق لرؤية نصرة..ورأيتها أمامي ومدت إلى يديها الرقيقتين..ثم سمعت صوتا متهدجا.

- أحمد..

- نعم يا حبيبتي.. مابك..

واستولى على رعب هائل فاجتذبتها إلى الداخل لقد كانت هيكلا عظميا.. كانت ترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها فقام حسام بأحضار ملاءة السرير وألقى بها إليها وجثوت عند قدميها وأنا أسألها بصوت خافت..

- نصرة.. ما معنى هذا ؟ لماذا جئت إلى هنا.؟ ماذا بك هل أنت مريضة.

فرفعت وجهها وهالني ما رأيت من امتقاع لونها وانقلاب سحنتها.

قالت بصوت خافت..

- أريد التحدث إليك يا أحمد في أمر هام على إنفراد لأبوح لك بكل شيء.

فطلبت من حسام تركنا لوحدنا.. وخرج وأنا أقول لها..

- نصرة..أما كان يجدر بك مهما كانت أهمية حديثك أن تتريثي حتى أزورك في المنزل أنك تجازفين الآن بسمعتك وتتعرضين لألسنة الناس.

-ألسنة الناس؟ إنهم سيقولون عني أقل مما أستحق. لم يعد في طاقتي الأنتظار أكثر من ذلك وفجأة أطرقت برأسها ودفنت وجهها بين كفيها وانفجرت باكية.

أحطت خصرها بذراعي وضممت رأسها إلى صدري ولكني لم أقبلها..وكأن القدر أراد ذلك.وقلت لها هدئي من روعك.أنت هنا في أمان وسأرافقك إلى بيتك تكلمي إنني مصغ إليك. حدثيني بكل شيء إلا حاجة واحدة هو أنك لاتحبينني.

بدرت منها صيحة طفيفة وتخلصت من بين ذراعي وقالت بصوت يغص بالدموع..

-آه يا أحمد.أيها المسكين لقد خدعتك اصفح عني لقد أسأت إليك كثيرا إنني قسوت عليك. كان يجدر بي أن أبوح لك بكل شيء منذ مدة طويلة ولكنني لم أقدر على ذلك. وأنا الآن في يأس لا مفر منه إلا بأن أحدثك بكل شيء قبل فوات الأوان وألقت بنفسها تحت قدمي وهي تقول أنني أرجوك أن تسامحني وتغفر لي خيانتي..

إننى حامل يا أحمد .

كانت تتكلم بقوة ومرارة .

نظرت إليها فى ذهول ودهشة وهى تتمرغ تحت قدمى. من الذى فعل ذلك..صرخت فيها وأنا أضربها بقوة وقد ركلتها بقدمى وأمسكت بكتاب كان فى يدى وقذفتها به فسال الدم من أنفها. ولم أشعر إلا وشفتيها المضطربتين تقبلان يدى وقدمى.

وأرتميت على المقعد وأنا أبكى بكاء وانتحب انتحابا.

وأخيرا بذلت أشد الجهد لكى أبدو هادئا.

ـ انهضى يا نصرة..لقد فهمت كل شىء.أنك بدون شك لا تتصورين مقدار حبك فى قلبى يا نصرة.حرام عليك أن تحطمى حياتى وتعصفى بأمالي ومستقبلى..لقد فقدت الثقة فى المرأة بسببك أنت يا نصرة.

دعينى أعلم منك فى هدوء كيف وقع هذا التطور المحزن فى مشاعرك ومن الذى فعل ذلك.

فأجابت والدموع تملأ عينيها لا داعى لأن تعرف الفاعل أن معرفته قد تزيد فى آلامك فأنا لا أبوح لك به ولن أبوح.

أسمعى يا نصرة لا يجب أن تعبثى بى أكثر من ذلك لابد لى من معرفة ذلك الشخص الذى أحل نفسه مكانى فو

قلبك.

إنك وحدك يا أحمد الذى تستطيع أن تخلصنى من العار..
تستطيع أن تقيلنى من عثرتى إن فى مقدورك أن تفعل كل
شيء من أجلى تستطيع أن تنقذنى بفعلة كريمة من أفعالك.
وأظنك الآن تدرك ما أعنى فأرجوك اغفر لى واكتم عارى
وفضيحتى.

أظلم الجو فى عينى واعتمدت على شيء..لا أدرى ما هو
لكى أمنع نفسى من السقوط وطفقت أبحث عن السبب الذى
دفعها إلى ذلك ...فصرخت فيها وأنا أقول لها:
لن أصبر بعد الآن لحظة فقولى اسم ذلك الوغد الذى
لوثك.ولكنها لم تنطق.
قلت وأنا أكاد أغرس أظافرى فى ذراعيها.
قولى أيتها الساقطة الخادعة تكلمى قبل أن اقتلك..
اسمه .. اسمه..
فاشتد بها الرعب وحاولت التخلص من قبضتى وهى تتلوى
كالأفعى ...وسألتها وهل عرفت أمك ذلك.
- لا..لم تعرف.
أظن يا نصرة هانم سوف أقول لها الآن عن كل شيء ...
- أرجوك يا أحمد أنك سوف تقتلها..

أتخافي عليها إلى هذا الحد.
وهل تهمك أن تعيش أو تموت أيتها الفاجرة سوف أصل معك الآن وأقول لها كل شيء.
وركعت فوق قدمي وهي تبلل حذائي بالدموع أرجوك ياأحمد بلاش أنني سوف أهرب من المنزل.
وعاد حسام فطلبت منه الوصول معها آلى المنزل.وجلست وحدى أفكر..
لقد أصيبت نصرة فهل أضن عليها بالصفح والغفران وهل أفعل ما يفعله الرجل القوى القادر على احتمال آلامه الرجل الذى يرضى أن يلتهم الأسى قلبه وأن يسخر الناس بآلامه وهو صابر صبر الكرام.نعم لا يوجد ما هو أقتل للئام من العفو عند القدرة عليهم.إذن سأعفو وسأنقذها من الهوة التى انزلقت إليها.
ومضت الأيام ولم ألتق بها منذ هذا الحادث سوى مرتين مرة وهى ذاهبة إلى العمل ومرة كانت تسير فى الشارع واليوم اتصلت بى أختها وطلبت منى مقابلتها فى شارع فؤاد لأمر هام.
ذهبت إليها فعلمت منها أنها دخلت المستشفى منذ يومين

وذلك لإجراء عملية إجهاض بدون أن يعرف أحد بذلك حيث أن الجميع يعرف أنها ستقوم بإجراء عملية اللوزتين.

أخذت منها رقم العنبر للذهاب إليها.

كنت أضمر في ضميري شيء هو الزواج منها ثم الانتقام بعد ذلك. أليست هي التي حطمت حياتي وقلبي ، وذهبت إليها في المستشفى اليوم، قابلتني ببرود وبعد أن جلست ما يقرب من عشر دقائق قالت.

اسمع يا أحمد أنا أعلم لماذا تتظاهر بأنك ستتزوجني إشفاقا على والدتي وأختي وعلى شرفي ولكن أسمح لي بأن أقول لك إنني لا أرغب في ذلك الزواج فإنني أفضل الموت وحدي بدون عذاب منك فأنا أعرف كل شيء عنك يا أحمد.

لا يا نصرة أنني أحب أن أقول لك بأنني متى أعطيتك اسمي وجبت عليك طاعتي وإذا جعلتك زوجتي وجب عليك أن تتناسي الماضي وتكوني زوجة تعرف مالها وعليها.

لا ياأحمد إنك لست أنت الذي أحبه لقد تغيرت كثيرا حتى أصبحت لا أكاد أعرفك أن في نظراتك لي قسوة ظاهرة

وابتسامتك لى خبث وشر.

أحمد يا أعز حبيب أرحمنى وإننى أرجوك وأقبل قدميك ويديك..

وأنهالت الدموع من عينيها وأحسست أنا بالدموع تجرى على خدودى. وارتمت نصرة على السرير وهى تصرخ فى تشنج فظيع وأمسكت بدولاب الأدوية والقت به على الأرض لقد أصيبت بانهيار عصبى.

وتركتها وخرجت بعد أن حضر الطبيب وأعطاها مسكن للنوم .. وعدت إلى المنزل..

نهضت اليوم مبكرا وأنا أشعر بصداع شديد وذهبت إلى العمل وفى تمام الساعة العاشرة خرجت بناء على استدعاء تليفونى لى وذهبت إلى المستشفى.

هناك على السلم رأيت والدتها تلبس السواد هى وأختها ابتسام وعندما رأتنى الأم جرت إلى وهى تصرخ يا أحمد نصرة ماتت.. ماتت نصرة يا أحمد كده يا خويا .. نصرة بنتى ماتت ولم أصدق شىء فجريت على السلم ولكنى وقعت ودخلت إلى العنبر وكانت هى ممدده على السرير، وجاءت أختها خلفى وأمسكت بى وأنا أذرف الدموع عليها وعلى حبنا وأيامنا الحلوة التى قضيناها سويا.

وأنا أذرف الدموع عليها وعلى حبنا وأيامنا الحلوة التى قضيناها سويا.

تريثت حتى ملكت أنفاسى وخرجت ببطء من الحجرة.

ولم أسمع شيئا غير الصمت..من حولى لقد ماتت نصرة.

تأوهت وبكيت وبكت معى أمها وأختها وأهلها..

ماتت نصرة..

لماذا أخذها الموت.

لماذا أرسل الله فى طلبها؟بالله عليك قل لى.

الله الذى يحيط به الملائكة الأطهار لماذا لم يدعها لهذا العالم الذى لا يحوى غير القليل من الملائكة أمثالها.

لقد ظلمتها أننى أعرف أنها بريئة وأنها لم تفعل شيئا بإرادتها ولكن هناك ظروف دفعت بها إلى ذلك.

ماتت ..

بموتها تلاشى كل أمل فى أن أصبح إنسانا شريفا ،

بموتها ضاع كل أمل فى إنقاذى..

مسكينة نصرة.
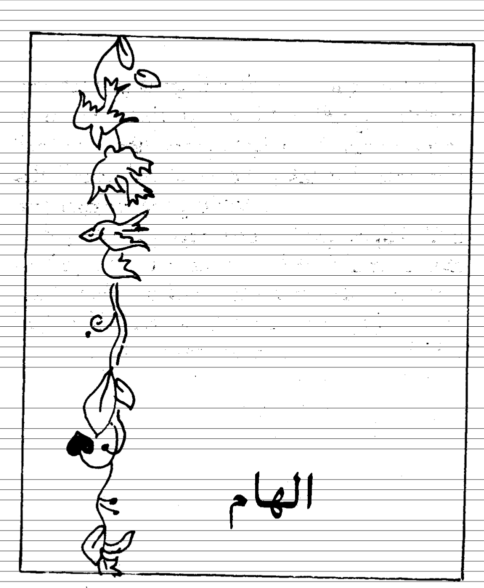
انطلقت أعدو كالمجنون ووجدت نفسى فى الطريق أشق طريقى بين الجموع..

متى يقف هذا الألم أليس له حدود ..
أنك تريدنى ياالله أن أمعن فى رذائلى وشرورى..
لقد فقدت الثقة فى كل إنسان وفهمت أن حياتى لا تهم
أحدا غيرى..

وبموتها انتهت قصة حبى الدامية..

* * *




الهام

كانت حياته مزيجا من الالم الدامي ، والابتسامه الناعمة، أو قل كانت حياته لونا من العبث الصارخ والاضطراب المستمر، لا يكاد يتنفس ويحس النور إلا بمقدار، وكذلك حياة الفنانين لوعة في أثر لوعه ولكنها لوعة ساحرة خلابة تصنع العبقريات وتوحي بالخلود..

كان أديبا من هؤلاء الشباب الذين يتذوقون الأدب ويصطنعونه، طموحا يتعقب خطى الشهرة والمجد.فهو يتخذ إليهما الوسائل المختلفة قصصا حينا وشعرا حينا آخر ، كثيرا ما كان يوفق في فن القصة والشعر،ولكن أحدا من الناس لم يعر أدبه إلتفاتة وقد صرف عنه أصحاب المسارح والناشرون في سخرية لاذعة، ذلك لأنهم ليسوا أدباء ولا رجال حرفة وفن ، وإنما هم تجار للأدب وتجار آثمون لا يعنيهم غير الكسب والكسب الكثير ولا يخضعون إلا للشهرة والشهرة الداوية، فهم يقبلون على الأديب الكبير يلتهمون آثاره ويذيعونها في ضروب من الدعايات وقد تكون هذه الآثار شيئا سخيفا لا فن فيها وهم يتنكرون للاديب الناشيء ويستنكرون



جهوده ويقبضون عنه يد الرحمة وقد تكون هذه الجهود خصبة تنتج المثل الأعلى الذى ينشده الفنان الكامل !! ..

فهم صاحبنا كل هذا وراح يمزق بيد الأسى آثاره الأدبية الواحدة تلو الأخرى وقبع حينا من الدهر لا يبرح غرفته المظلمة إلا مع الليل ، تلك الغرفة التى رسم الشقاء عليها صورا مروعة تحكى محن آلام دفينة ، وقد نضب الدمع فى عينه وجف معين العبقرية فيه أو كاد ، ولكنه كغيره من الشباب فيه عنصر الخلود الذى لا يتاح للشيوخ وفيه قبس سرمدى من نور الله يضىء له الآمال ، ويلهب قلبه بحرارة الحب والعقيدة والآمال وهو كغيره من الفنانين ثائر عظيم الثورة، مغامر شديد الإقدام فيه أمل وفيه طموح وفيه صوت قوى من صوت الحياة والناس، إذا همس تجاوبت في الكون الصامت أصداء النفس الإنسانية فى همسها ونجواها ، وإذا كتب تجلت صور الطبيعة والحياة في روعة أسرارها وسحر حقائقها ، فهو ينفض عنه اليأس والإستسلام وينهض ليستأنف الجهاد ويستقبل حياة جديدة كلها أحلام لا تخلو من نعومة ولين ، ويمشي فإذا هو قد جاوز المدينة إلى قرية صغيرة من قرى الريف فيهبطها مع الفجر ويلتجىء إلى خان يأوى إليه حيث ينام نوما عميقا ، ويستيقظ عند الغروب وقد سكن الضجيج والضوضاء فى القرية

فينهض ويأخذ فى التجوال هنا وهناك ثم يقف وقد راعه منظر الشمس وهى تنسحب إلى المغيب ، تاركة وشاحها الاحمر على صفحة النهر يتأرجح ، فيبدو كأنه اتون يلتهب بين طيات النهر وعلى مقربة من الشاطىء رأى فتاة تجلس على باب كوخ صغير تصلح شباك الصيادين فى نشاط ودعة.

يستثير هذا المنظر خيال الشاب ويلهمه ضروبا من الصور والفن ، وقد راقه جمال الفتاة فهو يقترب منها ويتقدم فيحييها فى نبل ثم لا يلبث أن يتحدث إليها طائفة من الأحاديث العامة فى أدب وحياء وأخيرا ينهض وقد غمرت الظلمة الحياة شمل الهدوء كل شىء وبدا القمر رائعا فى شحوبه !!

وفى هذه اللحظة يقبل رجل فى العقد السادس . ويصافح الشاب فنفهم من حديثهما بأنه والد الفتاة ويسأل الشاب فى أدب.

"هل لى أن أتعرف بك أيها الشاب الوقور؟ فيجيبه الشاب فى ابتسامة عريضة.اسمى طارق من أهل المدينة نزحت إلى الريف عسانى أستلهم وحيا جديدا أستهل به نشاطى الأدبى فإننى من هواة الأدب".

فيقول الشيخ : حسنا فانت ضيفنا العزيز ولا أظنك سوف تبخل بقبول عرضي هذا ؟.

فيجيب الشاب ولا زالت الابتسامة تكسو شفتيه أرجو ألا أضايقكما هذه الليلة. ويمضي بهما الليل في شتى الأحاديث

ثم يرن صوت الشيخ في شئ من السعادة قائلا : أمال .. إبنتي الوحيدة فقد تركتها لي أمها حيث ودعت الحياة منذ أكثر من خمسة عشر عاما حيث كانت أمال في الثالثة من عمرها ولا أظن بابنتي أنها تعرف إلا القليل عن أمها.

ثم يقطع الحديث بين الشيخ العجوز والشاب الضيف صوت الفتاة في حياء قائلة: لعلكما في حاجة لتناول بعض الطعام ويجلس الجميع لتناول طعام العشاء وصاحبنا ينظر إلى الفتاة نظرات إعجاب وتقدير وبعد تناول العشاء تقوم الفتاة لاعداد أقداح الشاي ثم ينتصف الليل ليدخل الشاب الضيف الحجرة التي أعدت لنومه ويحاول النوم فيستحيل عليه فيعمد إلى القلم فيطيعه في يسر!! ترى أي شيء أحال سراب الحياة في عين هذا الشاب الأديب المغمور ، إلى نعيم تشدو في خمائله طيور الأماني بالنغم الحنون؟! أي شيء هذا الذي أعاد إليه ضميره حيا فطغت عليه أخيله العبقرية والنبوغ ؟؟..

إنه الحب إبتسامة الخلد فى فم الخلود !!..فقد نفد الحب إلى قلب شاعرنا فأحس الحياة إحساسا آخر، كما نفد إلى قلب صاحبته الجديدة فعاشت حياة داوية بالذكريات وسرعان ما امتزجت النفوس وسرعان ما اتفقت القلوب ، فإذا هما زوجان حبيبان وإذا بهذا الكوخ الانيق مأوى حبهما الأبدى !!..

ولكن حدث أن حن صاحبنا الأديب إلى حياة المدينة وهرجها، فهو يطلب إلى فتاته أن تهجر القرية وتتبعه فتأبى عليه وتمضى فى الاباء جادة صادقة فيتجادلان ويشتد بينهما الجدل،ولكن فى لين ودلال ويدور بينهما الحديث :

هى :ـ أنسيت أن هذا الكوخ المفعم بالأحلام هو مصدر ما نحن فيه من سعادة؟

هو :ـ ولكن يا عزيزتى كل شىء يدعونى اليوم أن أقطن المدينة وإلى أن أحيا حياة فيها ترف وظهور!.

هى :ـ أما قلت لك أول يوم رأيتك فيه، أنى لا أصلح لشاب مثلك أديب ترصد له الشهرة ويجرى خلفه المجد ؟؟

هو :ـ أنت قاسية يا عزيزتى فى حكمك ، إنى أريد أن

أبنى قصرا فاخرا يؤمه العظماء ورجال الفن وتكونين أنت جوهرته المتألقة ، حيث تخطرين فيه فيخطر حولك الجمال والفن!..

هي :ـ ليست بي حاجة إلى هذه المظاهر الخادعة، فنحن نستطيع أن نجعل من كوخنا هذا دنيا أخرى تزخر بألوان الجمال ونضفي عليها من حبنا أطيافا وحللا بهيجة خلابة!!..

ثم ينتهي الأمر بينهما بأن يرحل الشاب إلى المدينة ليستقبل الشهرة والثراء العريض اللذين أصابهما في قبول أحد المسارح الكبيرة تمثيل قصة له ويدفعه الغرور إلى الانضمام في المسرح واللهو تاركا من ورائه زوجته التاعسه تندب حظها بدمع مهراق وتطول غيبة الشاب سنة أو نحو سنة وتتضاعف آلام الفتاة فتستنجد بالصبر على قلبها المحطم... وتتعاقب الويلات فينفذ المال من يد صاحبنا ويلح عليه البؤس فيلجأ إلى مدير المسرح ليقرضه شيئا من المال ، ولكن الرجل يأبى أن يقرضه إلا إذا قدم له قصة أخرى في أيام قليلة .فيعمد الشاب إلى القلم كما عمد إليه أول مرة ، ولكن القلم يستعصي عليه وتجف القريحة وينتسخ الوحي ، فيقع في ضيق ليس بعده ضيق ، وأخيرا يتذكر صاحبته المقرونة كما رآها في أول مرة تجيل إبرتها في شباك الصيادين في
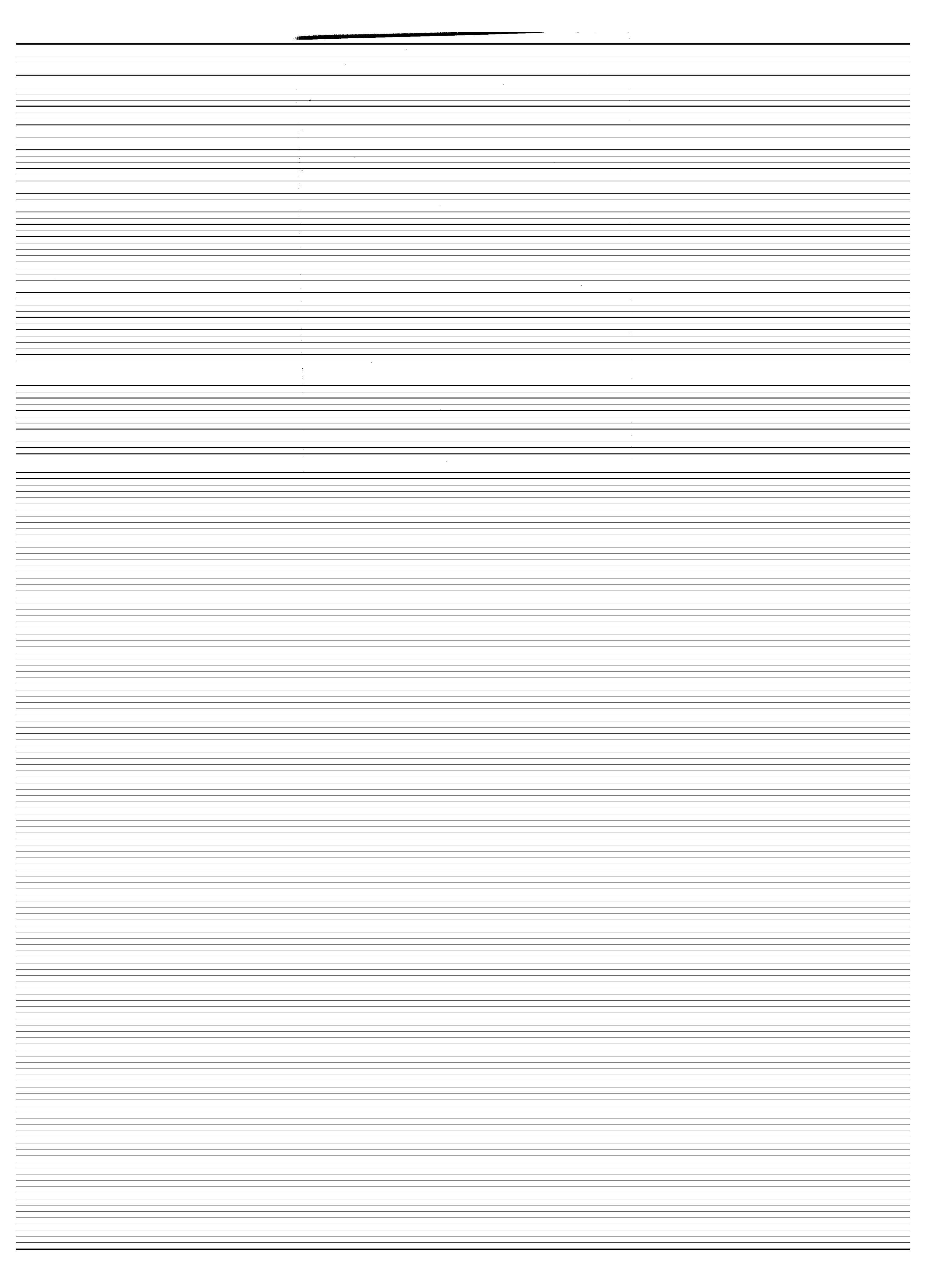
نشاط ودعة فيهفو به الحنين ويلح عليه الشوق إلى رؤيتها وما هي إلا جولة أو جولتان ، حتى يجتاز المدينة ويهبط القرية، فإذا بالفتاه تستقبله مبتهجة النفس طائرة القلب وتقبله في دموع باسمة ،لم تتغير إلا قليلا ولكن سرعان ما عادت إليها الحياة حينما عاد إليها من تحب في هذه الحياة !!..

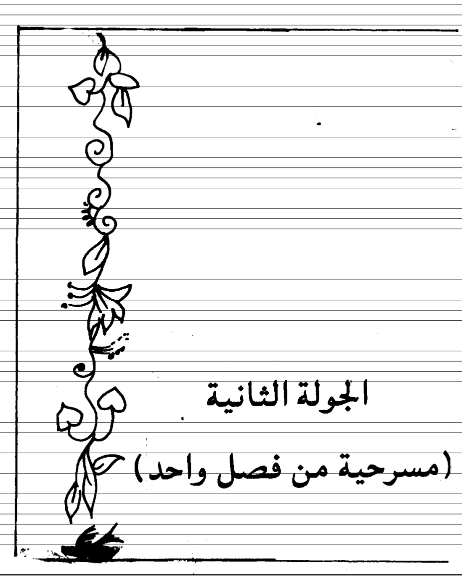
وكان صباح اليوم التالي لعودة الزوج الأديب ، صباحا مشرقا تغمره سماء وردية ، فإذا بصاحبنا يجلس تحت شجرة بجانب الشاطىء ، يستمع لخرير الماء وإلى اصطفاق الموج الحالم الفنان وبيده القلم يسطر به قصة جديدة ، وقد تفتح خياله وانطلق ذهنه من عقاله ، وإذا فتاته تأتي من خلفه وبين ذراعيها طفلتهما الجديدة.

وتغمض عينيه بيدها ثم يدير وجهه ضاحكا. فيترك القلم والورق لحظة حتى يحمل وحيدتهما بين يديه ثم يضعها على رجليه يقبلها ويداعبها والفتاة تجلس عند قدميه وهي ترنو إليه بنظرات كلها حب وحنان وكلها طهر وإعجاب ، ثم تسأله في صوت نقي عذب.

" أي اسم ستطلقه على قصتك هذه المرة"؟

فيجيبها هامسا وقد ألصق فمه بفمها إلهام...





الجولة الثانية

(مسرحية من فصل واحد)

إثنان من الفدائيين اشتركا فى القيام بمهمة لتغطي
انسحاب كتيبة من الجنود أيام المعركة . وبعد انتها
المهمة المطلوبة ، وعند عودتهم وجد أحدهم أن منزله ق
تهدم وزوجته قد قتلت ورأى فى منزله جنديا من الأعدا
يحاول الإعتداء على ابنته.

وتم أسر الجندى وتقرر الاستفادة منه فى الجو
الثانية . وقد تم الاتفاق على أن يقوم الجندى المذكو
بالذهاب إلى معسكره فى عملية انتحارية بالنسبة له وه
القيام بنسف مواقع الذخيرة تحت حماية جنودنا .

على أن يتم إبلاغ القيادة بتحركات العدو وقد قام
القيادة على الفور ببث الألغام فى طريق العدو . وعن
القيام بالجولة الثانية تقدم الجندى الأسير وهو يحمل حو
وسطه لغما على أن يقوم أحد الفدائيين بإطلا
الرصاص عليه فينفجر اللغم وتنفجر معه مواقع الذخير
تقدم الجميع فى هجوم خاطف على مواقع العدو ، وتنج



المهمة ويعود الجميع وهم يرددون أناشيد النصر.

يرفع الستار عن انقاض منزل متهدم بفعل القنابل في وسط الصحراء تحيط به الرمال من جميع الجهات، في الجانب الأيسر من المسرح يوجد حائط قائم يبلغ ارتفاعه حوالي مائة وستين سنتيمترا وفي الركن الأيمن تنتشر بعض الأواني المنكسرة وزير مكسور والماء من حوله يسيل على الأرض، وتتدلى من السقف بعض الأخشاب ساقطة على دولاب للملابس.

ونرى على الأرضية جثة امرأة ممزقة الثوب ملقاة والدماء من حولها، يجلس بجوارها طفل يبلغ من العمر حوالي ثلاث سنوات وهو يعبث بدمائها بعد أن لفظت أنفاسها.

وفي الزاوية الخلفية من المنزل نشاهد جندي طليق اللحية في ملابس ملطخة بالدماء وهو يحاول الاعتداء على فتاة بعد أن مزق ثوبها وهي تحاول الدفاع عن نفسها فلا تجد سوى الصراخ.

ومن خلف الأنقاض وعلى بعد ٢٠٠ متر يظهر شخصان يتقدمان نحو المنزل في بطء أحيانا وسرعة أحيانا ويبدأ هذا الصراع بين الجندي والفتاة..

الجندى : أوه يا فتاة يجب أن أقتلك ، ولكن قبل قتلك
يجب الاستمتاع بك.

الفتاة : إنك كلب حقير.. نذل.

يتقدم الجندى ويصفع الفتاة على وجهها صفعة قوية فيشاهد فى أذنها حلق ذهبى.

الجندى : آه ما أجمل هذا الحلق ! اخلعيه.

ترفض الفتاة بشدة وتصرخ فى وجهه.

الفتاة : لا.. لا يمكن.

الجندى : سوف استعمل العنف معك.

الفتاة : أنت لا تملك غير ذلك.

الجندى : وأنت ماذا تملكين للدفاع عن نفسك..

الفتاة : أملك الإيمان بالله ، وأملك الحق ،أملك هذه الارض التى تدنسها بقدميك.

الجندى : متقدما وهو شاهرا السلاح وينتزع منها الحلق.
أرأيت ماذا فعلت القوة دافعى عن نفسك الآن ،أظن أنك عرفت الآن أنك ملكى وحياتك بين يدى.

الفتاة : جبان.. !! إنكم جميعا جبناء ، وعندما تواتيكم الفرصة تظهرون على حقيقتكم.

الجندى : هيا اسرعى،لا داعى للكلام الزائد ، فاننى أريد الرحيل حالا.

الفتاة : وهل هناك مايمنعك..تفضل بالرحيل..ألا يكفيك أنك قتلت أمى العجوز برصاصك وسلاحك القذر وتركت طفلا صغيرا (مشيرة إلى الطفل الصغير) يعبث بدمائها والآن تريد الإعتداء على.

الجندى :لو كان معى رصاصة أخرى لأفرغتها فى جسدك.. (ويلتفت إليها والشرر يتطاير من عينيه) ولكن حظك كويس يافتاة،لا تظنى أنى سأتركك فلقد انتهى الرصاص الذى معى ولكن سأقتلك بهذا السونكى

الفتاة : لست أخاف الموت فالله الذى يقف دائما بجوار الحق هو الذى يرعانا،فأنتم أيها المعتدون تعتقدون أن القتل أسهل،وأن الفكرة وحدها تكفى،والشجاعة عندكم هى الظلم والقتل ومع ذلك فأنتم جبناء.

يلقى بنفسه عليها ويلقى بها على الأرض فيصرخ الطفل صرخة يرتعب منها الجندى فيلتفت إلى مصدر الصرخة فى فزع.

الجندى : ما هذا؟

الفتاة : (وهى تضحك فى سخرية) أرأيت أيها الجبان صرخة طفل صغير ترعبك بهذا الشكل.

الجندى : (وهو يستعيد رباطة جأشه) كفى أيتها المجرمة.

فى هذه الأثناء نشاهد الشخصين الذين كانا يسيران فى اتجاه المنزل وقد تقدما وظهرت شخصيتهما بوضوح فنرى الرجل الأول يرتدى ملابس الفدائيين ويضع عقال على رأسه ويبلغ من العمر حوالى أربعين عاما لم يحلق ذقنه، أمسك بيده بندقية ذات حجم صغير ويسير وهو يضغط بثقل على قدمه اليسرى كالمصاب بها ويسير بجواره جندى ممزق الأثواب بفعل الأسلاك الشائكة وهو مصاب فى جبهته ونسمع هذه المناقشة.

الفدائى: ما اسمك يا أخ ؟ لقد سرنا مسافة طويلة لم نتعرف فيها على بعض .

الجندى : أحمد !! وأنت

الفدائى: ابراهيم

احمد : أنت تابع لجيش التحرير ..

أبراهيم : نعم لجيش منظمة تحرير فلسطين .

أحمد : وماذا فعلت ؟

ابراهيم : فى جولتى الأولى دمرت خطوط السكك الحديدية فى تل أبيب وقتلت ثلاثة من أعداء الله اعترضوا طريقى فى العودة.

أحمد : لا بأس يا أخ ابراهيم فاننا سوف نبلغ النصر ولو بعد حين ، فنحن ندافع عن أهلنا وأبنائنا نحارب من أجل استعادة الأرض السليبة.

ابراهيم : نعم يا احمد والله ناصرنا بإذنه عن قريب ومتم نوره ولو كره الكافرون.

احمد : لقد حق عليهم الموت والإبادة وهذه هى الساعة قد أتت فالويل لهم منا.

ابراهيم : شىء لابد منه يا أحمد ، ولكن قول لى إنك لم تأكل منذ يومين فخذ قطعة السكر هذه ضعها فى فمك.

أحمد : لا طعام ولا شراب إلا بعد النصر يا ابراهيم.

ابراهيم : (وهو يلتفت إليه صائحا مشيرا إلى المنزل) يا الله ما هذا؟ انظر يا أحمد ..

أحمد : ماذا هناك.

ابراهيم : لقد هدم الأنذال منزلى.

أحمد : وماذا يحزنك ؟ ألم تكن تتوقع ذلك.

ابراهيم : طفلى وزوجتى وإبنتى يا أحمد.

أحمد : لا تحزن ، إنها الحرب يوم لك ويوم عليك ، فيها خراب وتدمير.

يسرع ابراهيم الخطى نحو مدخل المنزل ويقف ممسكا بيده أحد العروق الخشبية المتدلية من السقف وهو يتلفت كالتائه فيرى أمامه الجندى اليهودى وهو يحاول الأعتداء على ابنته فيتقدم نحوه وهو شاهر سلاحه.

ابراهيم : قف أيها الجبان.

الجندى : (فى رعب وخوف ورعشة تسرى فى جميع أوصاله) يحاول فى سرعة أن يشهر سلاحه ولكنه يتذكر أنه ليس لديه ذخيرة فلا ينطق ويقف صامتا منكس الرأس.

أحمد : بعد أن دخل هو الأخير المنزل.

اطلق عليه الرصاص ياابراهيم ، ألا ترى ماذا فعل هذا الجبان.

ابراهيم : نعم .

أحمد : انظر ..

ابراهيم : (وهو ينظر إلى زوجته الملقاة على الأرض وطفله الصغير الذى تقدمت منه أخته لأخذه بعد أن أصلحت من ملابسها).

أيها الكلب. لقد قتلت أعز شخص لدى فى هذه الحياة لقد قتلت زوجتى.

أحمد : ألا يوجد شيء لتغطيه الجثة.

ابراهيم : (وهو يقف مذهولا لا يعى شيئا) ينادى على ابنته سعاد.. سعاد احضرى شيئا غطى به أمك وتعالى بجوارى هنا.

وجلس ابراهيم هو وابنته التى تذرف الدمع على أحد الأحجار الملقاة فى أرضيه المنزل وهو يضع يده علىُ خده ويفكر فى صمت.

أحمد : (وهو يضع يده على كتف الجندى ويشده من سترته) والآن جاء دورك أيها النذل الحقير.

الجندى : إتركنى فإننى لم أرتكب ذنبا ، فإنها الأوامر تم تنفيذها.

أحمد : إنك لست جنديا شجاعا ، كان يجب على الأقل أن تظهر نوعا من الكبرياء.

الجندى : إنني لا أرغب سوى العفو عني.

أحمد : وهذه الجثة المسجاة على الأرض .

الجندى : كنت في حالة الدفاع عن النفس .

أحمد : والفتاة التى حاولت الأعتداء عليها.

ينظر الجندى في بلاهة وخوف مرتعشا.

أحمد : إننى سوف أعفو عنك ولكن بشرط.

الجندى : أى شرط أنني مستعد لعمل أى شيء لتتركوني.

أحمد : سوف يقول لك عنه صاحب هذا المنزل.

ابراهيم : (ناظرا للجندى والشرر يتطاير من عينيه ملوحا بسلاحه) أى شرط غير الموت.

الجندى : ينظر إليه في صمت واستعطاف وذل.

ابراهيم : الشرط هو قتلك والتمثيل بجسدك أيها الجبان الحقير.

أحمد : لى رأى في هذا الموضوع ياابراهيم.

ابراهيم : ما هو رأيك ياأحمد.

احمد : انني أرغب في عقد محاكمة لهذا الجبان لنرى ماذا وراءه.

ابراهيم : لا استطيع الصبر على قتله.. لكن ليكن لك ما تريد.

ابراهيم : (مشيرا بيده إلى الجندى) هناك عند الركن
إجلس القرفصاء أيها الحقير.

يذهب الجندى ويجلس وهو يرتعش من الخوف ، ويجلس أحمد وهو يقدم للطفل قطعة السكر التى أخذها من أبيه.

ابراهيم : "موجها كلامه إلى أحمد" تعال بجوارى هنا.

أحمد : نبدأ المحاكمة:

ابراهيم : "مشيرا إلى الجندى" نطلب منك الأجابة بصراحة عن كل سؤال.

الجندى : يهز رأسه فى صمت.

ابراهيم : أين باقى فرقتك من الجنود.

الجندى : على بعد بضعة كيلو مترات قليلة من الشاطىء.

ابراهيم : ومتى سيعبرون النهر.

الجندى : سيعبرون القنطرة اليوم.

ابراهيم : يبدو لكم الأمر سهلا ولكن سوف ترون.

أحمد : على بركة الله دعهم يعبرون وسوف نسحقهم.

ابراهيم : وماذا سيفعل الجنود بعد عبور القنطرة.

الجندى : على ما أعتقد .. أنه يوجد هناك مركزين للدفاع فى آخر القنطرة سوف يتم الأستيلاء عليهما ليكفل لهم الدفاع والصمود.

أحمد : أنهم لا يستطيعون الصمود أمام جند الله.
ابراهيم : ألا يعلمون أنها أرضنا ، لقد اغتصبوها منا ؛
الله اعطاها لنا وسوف نستردها.
أحمد : نعم سوف نستردها.
ابراهيم : كلنا سوف نستشهد فى سبيل عودة أرضنا إلينا.
فى سبيل الحق والحياة الكريمة.
يبصق أحمد على الأرض موجها كلامه إلى
الجندى.
أحمد : أننى أريد أن أعرف لماذا جئت إلى هنا؟
وماذا تبغى ؟
الجندى : لست أبغى شيئا فهى الأوامر فقط.
أحمد : أى أوامر هذه وأى حق لكم فيما تفعلون.
الجندى : لست أدرى شيئا.
يتقدم ابراهيم فى عصبية شديدة محاولا ضرب
الجندى بيده ولكن أحمد يمسك به ويطلب من
التريث.
ابراهيم : هل يعرف هؤلاء الأوغاد حق الحياة يقتلون الأطفال
والنساء ويهدمون المنازل فأين الحق وأين
العدالة؟

ابراهيم : (وهو ينظر إلى سعاد فيجدها تبكى).
دعك الآن من الدموع واستعدى لملاقاة المدافع
القاصفة التى يوجهها العدو إلى صدورنا.
سعاد : لماذا يا أبى كل ذلك ..
ابراهيم : لأننا نطالب بالحق .. نطالب بأرضنا وديارنا.
سعاد : ولذلك نستحق الموت.
أحمد : لا تقولي الموت ياسعاد أنه موت للأعداء لكنه
استشهاد بالنسبة لنا فنحن أصحاب حق والحق
دائما مصان والله دائما مع الحق أليس كذلك يا
أخ ابراهيم.
ابراهيم : تماما يأحمد .. تماما أ الحق .
سعاد : (وعيناها مغرورقتان بالدموع) أن ما يحز فى
نفسى ويقطع نياط قلبى يا أبى أن أرى أبناء
بلدى يشردون بيد حقيرة من حثالة اليهود.
أحمد : لا .. ليست هى الحقيقة يا سعاد .
سعاد : وماذا تكون الحقيقة .
أحمد : لقد خدعنا لقد كان هناك تواطؤ أمريكى انجليزى
ألم تسمعى ذلك فى الراديو.

ابراهيم : دعينا يا سعاد الآن فنحن وراءنا عمل كبير فلا بـ
من الانتهاء من هذا المجرم الذى يقف بين
أيدينا حتى يمكن الخروج للجولة الثانية مـ
المعركة.

أحمد : لقد أظلم الجو نريد شعاعا من النور.

ابراهيم : كم الساعة الآن.

أحمد : الثامنة والربع.

سعاد : أبى.

ابراهيم : ماذا.

سعاد : لقد أخذ هذا الجبان مصاغى وهو مخبأ ،
سترته.

أحمد : وماذا تنتظرى !!

ابراهيم : تقدمي وخذيه منه.

سعاد : "وهي تشير إلى الجندى بيديها" أرفع يديك أ
الجبان.

الجندى : لا داعى لذلك .. خذى كل ما معى كل
تريدون.

سعاد : الآن تبدو على حقيقتك ويتضح جبنك.

الجندى : "وهو يخرج من جيبه علبة للسجائر" خذى ،
العلبة ياآنسة أعطيها لأبيك.

عاد : "وهي تركله بالقدم" أيها النذل ،أتظن أننا سنتركك دون عقاب.

جندى : أرجوك العفو فأنا إنسان ضعيف.

عاد : هل تعرف معنى الإنسانية ، ألم تقتل الأبرياء ألم تنهب حقوق الآمنين ألم تسفك الدماء ؟

جندى : نعم قتلت.

جندى : لا أعرف.

باد : ألست نادما الآن على ما فعلت.

جندى : نعم نادم كل الندم ولكن ما حيلتى أرجوكم العفو.

باد : أنتم يا من تقتلون الأبرياء ماذا يكون جزاؤكم.

جندى : العفو.

باد : يالك من حقير لا هم لك سوى الحياة.

(ثم تلتفت خلفها لترى أبيها ، فتسمعه وهو جالس مع أحمد يتحدثان بصوت منخفض لا تفهم منه شيئا).

عاد : كم طفلا قتلت وكم أسرة شردت وكم من فظائع ارتكبت؟

الجندى : مالى أرى الجميع هنا يتكلمون ألا أجد من يه
بالعفو عنى.
سعاد : سيكون من يهتم بقتلك.
الجندى : (وهو يبلع ريقه) ألا توجد شربة ماء.
سعاد : أتظن ذلك بعد هذا التدمير الذى أحدث
قنابلكم.
الجندى : لقد قالوا لنا أنكم مخلوقات دنيئة يجب القض
عليها.
والآن فقط عرفت الحقيقة. أنكم أحسن منا أخلا
على الأقل وتعرفون ما هى الأنسانية ، وته
الشفقة قلوبكم مخافة ربكم.
سعاد : لستم سوى كلاب تنبح دائما دون وعى.
الجندى : لا بأس بذلك ، هل أنزل الآن يدى.
سعاد : لا بل انتظر حتى انتهى من كلامى ثم ابدأ ·
تفتيشك.
الجندى : أيوجد شىء آخر.
سعاد : نعم مازال هناك الكثير.
الجندى : أرجوك يا آنسة فأنا ضعيف لا أملك شيئا.
سعاد : إننى لو كنت أمتلك قنبلة الآن لتقدمت بها وس

السعير بخطوات منتظمة لالقيها على جنودكم
وجيشكم ، وهذا هو ما سوف يحدث فى الجولة
الثانية إن شاء الله.

جندى : أريد ماء.

عاد : أسفة جدا فالماء للأحرار فقط.

جندى : إن هذا فظيع ، لقد عشت طوال حياتى لم
أقاسِ مثل هذا العذاب.

عاد : إنها الحرب أيها الجبان.

جندى : ولكن ماذنبى.

عاد : ألا تشعر بكل ما تقترفون من جرائم.

جندى : لم أعد قادرا على التحمل أكثر من ذلك.أرجو
العفو عنى..

عاد : سيكون لك العفو فلا تتعجل.

جندى : لقد دفعنا لقتالكم وماكنا نريد شيئا منكم.

عاد : الان تقول هذا يالكم من خونة جبناء.
لقد هزمتم فى كل معركة تخوضونها على مر
التاريخ أتعرف لماذا؟
لأنكم تقاتلون فقط للنجاة بجلودكم وأقصر طريق
للنجاة بجلدك هو الهرب.

فأنتم أناس حكم عليكم بالتشرد ، شعب لا وطن
له ، لاربياط بينكم لأنكم بقايا من حثالة شعوب ،
ترغب فى التجمع للعودة إلى فلسطين بحجة أنها
أرض أجدادكم.
المهم نبدأ فى التفتيش .

الجندى : تفضلى.
سعاد : (وهى تمسك ساعة بيديها) من أين أتيت بهذه
الساعة.
الجندى : منك.
سعاد : وما هذا المصاغ.
الجندى : أنه ملك لأسرة نهبنا منزلها قبل الآن.
سعاد : عصابة تعيش على النهب والسرقة.
الجندى : وهذا كل ما أمتلك من نقود.
سعاد : سوف تبتلعها الآن أمامى.
الجندى : لماذا.

وينهض أبيها وأحمد وهما يتكلمان بصوت مرتفع
ويتقدمان ناحية الجندى.

ابراهيم : أنها خطة بارعة ياأحمد.
أحمد : اعتقد أنها الخطة الوحيدة التى تصلح لهذا
الموقف الآن.

ابراهيم : بعد تنفيذها سأشعر على الأقل بأننى انتقمت الانتقام الصغير.

أحمد : أهناك انتقام كبير أيضا.

ابراهيم : نعم يا أحمد ، الانتقام الكبير هو خروجهم من أرضنا.

أحمد : فعلا يا ابراهيم ، إنه يوم الانتقام.

ابراهيم : (وهو يتقدم واضعا يده على كتف سعاد) ها .. ماذا فعلت يا سعاد.

سعاد : كل خير يا أبى هاهو أمامك.

أحمد : أخذت حاجاتك.

سعاد : نعم.

ابراهيم : ابحثى لنا عن رشفة ماء.

تستدير سعاد لإحضار الماء ويتقدم ابراهيم وأحمد ناحية الجندى وفجأة تنطلق صفارات الانذار.

ويسمع أزيز الطائرات وهى تقصف بالمدافع.

أحمد : ارقدوا جميعا على الأرض ولا تتحركوا.

ابراهيم : (وهو يمسك الجندى بيده) تعالى بجوارى ياسعاد.

أحمد : إنها غارة جوية يا أبوخليل.

ابراهيم : هذه طائراتنا نعم والله .. طائراتنا تقاتل.

احمد : انظر هناك .. طائرة تسقط.

ابراهيم : يارب انصر عبادك المؤمنين.

الجندى يحاول التملص.

أحمد : أبق مكانك أيها الجبان.

ابراهيم : سوف نقدمك قربانا للجولة الثانية.

أحمد : فلنسمع الأخبار من الراديو (يقول ذلك وهو يدير جهاز راديو بيده)

جاءنا البيان التالى من القيادة

ابراهيم : انتظر لا تغلق الراديو.

ويجتمع الجميع للاستماع فى صمت ، كل منهما يحاول أن يضع أذنه على الراديو ويسمع صوت المذيع وهو يعلن ..

قامت قواتنا الجوية بغارة على قوات العدو ومواقعه وقد تم تدمير جميع المواقع العسكرية.

أحمد : النصر لنا

ويتقدم الجميع وهم يحتضنون بعضهم البعض ..

الله أكبر .. الله أكبر ..

الجندى : احترسوا مازالت المعركة مستمرة والغارة موجودة.
ابراهيم : صحيح كل واحد مكانه.

ويعود الصمت ثوانٍ ولا نرى شيئا من الظلام.
ونسمع صوت الراديو وهو يجلجل بقصيدة شعرية
ينصت لها الجميع.

سنون طوال
انتظارا لعودة الديار
ما كنا والله ننسى حكاية الطغيان
وتمزيق فلسطين فى وضح النهار
أننس القدس أم ننساك حيفا ..
ورملة والجليل وتلك يافا
انتركها للباغى الطريد
ونعيش نحن فى تشريد
معاذ الله من هذا الوجود
فلسطين بالقوة وللحق ستعود
سننهى اليأس ..
ونبدأ بالنداء
فقد شع الضياء ..
بألف نور ورجاء ..

ولاحت في الأفق أمانينا ..
وأرضنا بالحق تنادينا ..
لخوض حرب ضروس ..
نذيق بها العدى مرارة النفوس ..
يشهد صبار أرضنا الصفراء ..
وأشجار يافا الخضراء ..
على عودتنا للديار
ملفحين بأغصان الحق المصان ..

سعاد : ما أروع هذه الكلمات يأبى .. أننى أشعر أنها رصاص ينطلق ليخترق صدور الأعداء.

ابراهيم : الرصاص لا يكفى ياسعاد لسحق هؤلاء الملاعين الذين دنست أقدامهم أرضنا الخضراء إنما يجب أن نتسلح بالعزيمة ونتحد أتحاد كلى وجذرى ، فالاتحاد لنا هو كل شئ الآن فالمعركة ليست معنا نحن فقط أنها مع كل انسان يبحث عن الحرية وينقب عنها بين أكوام من القاذورات والعفن التي تدعى نفسها بالدول الحرة ، وهذا افتراء على الحرية.

أحمد : وهل هناك أسلحة للحرب جديدة.

ابراهيم : نعم هناك البترول، هناك القوة البشرية واتحادها.

وتنطلق صفارات الانذار معلنة انتهاء الغارة الجوية.

سعاد : لقد انتهت الغارة.

ابراهيم : الله معنا ، والهزيمة دائما للعدو هذا ما حدثتنا به كتب التاريخ وكتب الأديان السماوية.

أحمد : ما أحقر هؤلاء اليهود إنهم أوغاد تجدهم كالذباب في كل مكان يوجد به المال آه لو أن الأمر بيدى لما تركت يهوديا واحدا على قيد الحياة فى العالم.

سعاد : وهى تنظر إلى الجندى نظرة كلها حقد آه منكم أيها الملاعين ماذا نفعل الآن لقد حانت ساعة الخلاص منكم (هى توجه حديثها إلى أبيها) متى سنتخلص من هذا اللعين يا أبى.

ابراهيم : كل شيء وله أوان.

نسمع فى هذه الأثناء طلقات رصاص متفرقة ويلتفت أحمد إلى مصدر الرصاص فنرى ثلاثة جنود وهم يتقدمون ناحية المنزل.

أحمد : انظروا هناك جنود تتقدم ناحيتنا.

ابراهيم : استعدوا خذى يا سعاد الجندى معك وأنت يا احمد معهم واختبئوا خلف هذا الجدار ولا تصدروا صوتا .

احمد : وأنت

ابراهيم : سأنتظرهم.

سعاد : لا يا أبى تعال معنا.

ابراهيم : لا تخافى سأتصرف فى الوقت المناسب خذى هذه البندقية.

سعاد : وستجلس بدون سلاح.

ابراهيم : قلت لك لا تخافى على وأحمد سوف يتصرف فى الوقت المناسب.

أحمد : نعم هيا بنا.

ويبتعد الجميع ويجلسون خلف الجدار ويجلس ابراهيم القرفصاء أمام مدخل المنزل بجوار جثة زوجته وهو يلاعب الطفل ويدخل الجنود ويتقدم أحدهم وهو يصرخ .. ها .. فينظر إليه ابراهيم متظاهرا بالفزع ويطلق الجميع الرصاص فى جميع الجهات للإرهاب ويتقدم أحدهم قائلا ..

الجندى : (مشيرا إلى ابراهيم) قف.

زميله : فتشه.

الجندى الثانى : هل معك سلاح ؟

ابراهيم : (متظاهرا بأنه لا يعرف شيئا) أى سلاح.

ويتقدم الجندى الأول.

الجندى : أرفع يديك.

ابراهيم : أرجوك أمامك طفلا صغيرا قتلت أمه الآن وهاهى جثتها أمامك فاحترس حتى لا تزعج الطفل.

الجندى : اخرس لا تتكلم.

ويتقدم الجميع وهم يقلبون كل شيء أمامهم.

الجندى : (لزميله) لا يوجد شيء.

الجندى : (مشيرا إلى ابراهيم) هيا معنا..

ابراهيم : إلى أين.

الجندى : لا تتكلم .. تقدم أمامنا.

ابراهيم : (يلتفت إلى الأمام ومن ورائه الجنود) قائلا يارب خذ بيدى ويسير الجميع فى اتجاه الباب وفجأة ينطلق الرصاص فيقع الثلاثة لساعتهم ويخرج أحمد وسعاد والجندى وهم يضحكون ويتقدم ابراهيم من أحمد.

ابراهيم : عفارم عليك يااحمد.

أحمد : انه الحق.

ابراهيم : ولا تنس ان الله معنا.

أحمد : الخطوة الأولى من الجولة الثانية انتهت على ما أظن الآن.

ابراهيم : تقريبا فإن الخطة سوف تنجح بدون شك.

سعاد : عن ماذا تتكلمون.

ابراهيم : سوف تعرفين كل شيء ولكن ليس الآن.

سعاد : كما تشاءون.

ابراهيم : تقدمي يا سعاد وخذى الأسلحة التى مع هؤلاء الجنود.

سعاد : حاضر (وتسير فى اتجاه الجنود وهى رافعة القامة فى اعتزاز)

أحمد : احترسى يا سعاد من القنابل التى معهم.

ابراهيم : اذهب معها يا أخي احضر ما تخف منه.

يتقدم أحمد وهو يقلب فيهم فأخرج من وسطهم ما يقرب من ٩ قنابل صغيرة يدوية فيأخذهم ويأخذ المدافع الرشاشة ويسير بهم فى اتجاه الجندى الجالس فى ركن منزوى يدخن سيجارة.

احمد : (مشيرا إلى الجندى) تعال هنا.
الجندى : أية خدمة.
احمد : هل تعرف كيف يتم استعمال هذه الأسلحة.
الجندى : نعم.
احمد : حسنا اجلس مكانك .
ابراهيم : ماذا وجدت يا احمد.
أحمد : لقد حلت المشكلة التى كنا نفكر فيها يا ابوخليل لقد وجدنا معهم ٩ قنابل و٣ مدافع رشاشة وعلى ما اعتقد أننا لا نريد أكثر من ذلك فهذا يكفى للجولة الثانية.
ابراهيم : نعم يا احمد ان الله معنا ولكن قبل أن نفعل شيئا نريد أن ندفن زوجتى.
أحمد : وهو كذلك .. هيا بنا الآن.
ابراهيم : (مناديا على سعاد) سعاد هاتى الجاروف .
تسير سعاد وهى تبحث عن الجاروف وتعود به
سعاد : تفضل يا أبى.
ابراهيم : (مناديا على الجندى) تعال هنا.
الجندى : نعم.
ابراهيم : اذهب مع أحمد واحفر حفرة لادفن آثار اعتدائكم علينا

سنقرر دفن زوجتى الآن عليك اللعنة أيها اللعين فأنت السبب فى كل ما حدث.

الجندى : أين سنقوم بالحفر.

ابراهيم : خلف المنزل.

أحمد : هيا بنا.

يخرج أحمد والجندى ، ويجلس ابراهيم وسعاد وهما يدثران الجثة بثوبها بعد أن قام برفع التراب من على جسدها.

ابراهيم : سوف ندفنها الآن ياسعاد.

سعاد : (وهى تمسح دمعة سالت على خدها) رحمة الله عليك ياأماه.

ابراهيم : لا تبكى ياسعاد الآن فنحن لا نريد البكاء ، نريد بدلا من الدموع عملا وكفاحا فيجب أن تزيد العزيمة عندنا ويجب أن يكون موت أمك سلاحا جديدا للحقد على أعدائنا.

سعاد : أبى الحقد فى قلبى لن تذيبه السنين ولن تذهب به الأيام فهو حقد دفين بين الطيات حقد عاش فى صدرى وكلما مر يوم ازداد تغلغلا والآن عرفت جيدا من هو عدوى.

وإننى أطلب الرحمة يا أبى لأمى المسكينة.

ابراهيم : أمك مع الشهداء.

سعاد : هل سيتركنا الله يا أبى؟

ابراهيم : (وهو يربت على كتفها) قومى اغسلى وجهك ياسعاد فالله لا يضيع حقا أبدا.

سعاد : لماذا يحاربوننا يا أبى ، ماذا فعلنا لهم .. ألسنا بشرا مثلهم ، نريد الحياة نطالب بحقنا فيكون جزاؤنا الموت أليست هذه أرضنا ، ألم أولد على تراب هذه الأرض أم إنكم تخدعوننى أرضى .. بلادى .. وطنى كل هذا نعيش فيه كالغرباء والعدو من أمامنا يمرح ويلهو ونحن ننظر إليه لا حول لنا ولا قوة والآن صحا المارد مطالبا بالحق ، بالأرض ، بالديار فلم نسمع سوى صدى لأصوات القنابل وأزيز الطائرات.

ابراهيم : معاذالله يا ابنتى وحق هذه الدماء ، دماء أمك الطاهرة ، دماء أبى واخواتى ، لن نتركها فلسطين ذبيحة على مائدة اللئام.

ستعود لنا أرضنا وإن استشهد جميع الرجال فستخرج النساء للحرب والأطفال ،

سنجعل جميع الأحياء يحملون السلاح فالحق لا يضيع واننا أصحاب حق وان كانت الدول الاستعمارية تحاربنا فالله معنا.

سعاد : أبى كم عام مضت على النكبة ، عشرة ، عشرون ، وستمضى الأيام ونحن هنا ننطق بالكلمات الحماسية والفخر وانني لا أظن أن التاريخ والفخر بالماضي وكثرة الكلام سوف يعيد إلينا أرضنا.

ابراهيم : لا تقولي ذلك ياسعاد ..

سعاد : إذا ماذا أقول ، اعطني السلاح وسأكون أول من يخوض المعركة.

ابراهيم : ليس السلاح هو كل شيء ياسعاد فمهلا ، إنما العزيمة والكفاح والاتحاد هو السلاح الأقوى لطرد أعدائك وأعداء الانسانية وهذا يجبرهم على الرضوخ لمطالبنا (مشيرا إلى أحمد بعد أن عاد من حفر الحفرة ومعه الجندي) أليس كذلك يا أحمد.

أحمد : نعم أنسيت ياسعاد أننا نملك أسلحة كثيرة للحرب أكثر من العدو ، أنسيت البترول أنسيت أننا لو عرفنا كيف نستعمل هذا السلاح لكان هو

أقوى من كل الأسلحة الحربية ،

ولا تنسى أيضا أن الحرب الاقتصادية والنفسية هي اليوم أقوى من الحرب المسلحة.

سعاد : إذا لماذا هذا الانسحاب ؟

أحمد : لاتظنى أن هذا انسحاب بل أنها كانت جولة من الف جولة وجولة وسوف نعود لنبدأ من جديد في حرب ضروس ، سنحطم فيها كل شيء الاستعمار وأذيال الاستعمار ستكون حربا ليست من أجل فلسطين فقط ولكن من أجل رفع راية الحرية فوق كل أرض مزقها الاستعمار وعملائه.

سعاد : يعنى اننا لم نهزم في المعركة.

أحمد : لكي ان تقولى أنه انهزام ، ولكي كذلك أن تقولى أنها نكسة نمر بها فأنت تعرفى جيدا ياأختاه ما هى القوة الحقيقة لجيشنا وكم من معارك خاضها واستبسل فيها وعادلنا بالنصر وان كان جيشنا قد ترك معركة فان المعارك القادمة ستكون أشد قوة ستكون هى الانتقام المرير ، فان شعبنا لا يرضخ للهزائم ولا يعرف ما هي ونحن لا نعترف بها على الإطلاق ودائما يكون الحقد على أعدائنا مريرا داخل قلوبنا.

سعاد : ألا تريد منا أن نحقد على الأعداء إننا نحقد عليهم حقدا فاق كل وصف لقد أصبح الطفل الرضيع يرضع من ثدى أمه مع غذائه معنى الحقد على أعدائه ، أتعرف يا أحمد اننى الآن انظر إلى هذا الجندى الذى يجلس معنا وأتمنى من كل قلبى أن أمزقه اربا وأمثل به وألقى ببقاياه فى هذا الفضاء المحيط بنا طعاما للغربان والصقور (وهى تشير إلى أبيها) أليس كذلك هو الحق يا أبى.

ابراهيم : ولكننا نريده حيا.

أحمد : انحن الآن مستعدون يا أبو خليل.

ابراهيم : هيا بنا.

يتقدم الجميع ناحية الجثة ويحملها زوجها ويقف أحمد فى حراسة الجندى ويخرج بها زوجها وسعاد إلى خلف المنزل ويخرج ورائهم أحمد ومعه الجندى فى يده.

ابراهيم : (مشيرا إلى الحفرة) ارفعى هذا الحجر ياسعاد.

سعاد : خلاص يا أبى.

ابراهيم : (يضع الجثة برفق فى الحفرة ويذرف دمعة يمسحها من على خده) إلى جنة الخلد يا أم

حسام فأنت مع الشهداء ستعيشين.

سعاد : (تلقى بالتراب هى وأحمد على الجثة وهى تبكى)

ويعود الجميع إلى داخل المنزل بعد دفن الجثة.

ابراهيم : أين حسام ياسعاد.

سعاد : هذا هو.

ابراهيم : اجلسى به بعيدا الآن.

سعاد : اننى أريد الاشتراك معكما فيما تفعلون.

ابراهيم : لكى مكان ولكن ليس الآن.

يتقدم ابراهيم فى اتجاه الجندى.

ابراهيم : اجلس يا أحمد.

أحمد : ماذا تبغى.

ابراهيم : هات الجندى هنا بجوارى.

ويجلس الجميع على الأرض.

ابراهيم : (موجه كلامه إلى الجندى) ما اسمك.

الجندى : جورج.

أحمد : ها يا جورج إننا نريدك للتعاون معنا.

جورج : ماذا أفعل.

ابراهيم : سوف نقول لك الآن.

جورج : وهل أنا مجبر على تنفيذ ما يطلب منى.

أحمد : نعم ، ألا تعرف ما هى واجبات الأسير.

ابراهيم : أنت هنا أسير وسوف تنفذ ما يطلب منك.

أحمد : ونريد منك الصدق أيضا.

ابراهيم : من أين تحركت.

جورج : (صمت).

أحمد : انطق ..

ابراهيم : أم أنك تريد القسوة لا مانع لدينا من ذلك.

جورج : فى ألم وهو يجز على أسنانه - لقد كانت قواتنا فى الجبهة الشمالية من هذه المنطقة.

أحمد : وهل مازالت موجودة.

جورج : الذى أعرفه أنهم سوف يتحركون فى تمام الساعة الثانية عشره من مساء اليوم.

ابراهيم : إلى أين.

جورج : لاحتلال الجزء الغربى من المنطقة العسكرية التى تركتها قواتكم.

أحمد : كم يبلغ تعداد القوات ؟

جورج : لقد كنا ٣ لواءات مشاة ومدرعات.

ابراهيم : وهل يتحرك الجميع ؟

جورج : لا .. لواء واحد فقط سوف يتقدم.

ابراهيم: والباقي للدفاع أليس كذلك ؟

جورج : نعم.

احمد : إذا قد انتهى كل شيء يا أبوخليل.

ابراهيم: كم الساعة الآن ؟

احمد : الساعة الآن الثامنة والنصف.

ابراهيم: إذا نبدأ العمل باقي ثلاثة ساعات ونصف ، وسوف أخرج الآن وأعود فورا بعد قليل.

أحمد : إلى أين.

ابراهيم: إلى القيادة.

أحمد : لماذا ؟

ابراهيم: سوف نخطرهم بذلك وسنعود بالسلاح.

احمد : وهل ستسير لوحدك ؟ الطريق محفوف بالخطرالآن.

ابراهيم: لا تنس أن الله معنا.

أحمد : على بركة الله.

ويخرج ابراهيم ويقوم احمد باحضار القنابل اليدوية ويضعها بجواره.

أحمد : اتعرف ماذا نريد منك أن تفعل ياجورج.

جورج : لا.

أحمد : ستقوم أنت بالتوجه إلى فرقتكم تحت حراستنا لكى ترشدنا إلى مواقع الذخيرة وسنقوم نحن بنسفها

جورج : لا - إننى لا أقبل مثل هذا العمل.

أحمد : سوف تقوم به.

جورج : وهل تثق بى.

أحمد : سوف نضع حول جسدك لغما ، فإذا حاولت التلاعب سنطلق عليك الرصاص.

جورج : إنه عمل غير إنسانى.

أحمد : (ضاحكا) ها .. أتعرف ما هى الأنسانية ؟

جورج : لا بأس من ذلك سأقوم بالمهمة.

أحمد : هل اقتنعت بها ؟

جورج : نعم ولكن هل سوف تلقى القنابل ؟

أحمد : نعم.

جورج : ومن سيلقى القنبلة الأولى ؟

أحمد : أنا ، ثم يلقى ابراهيم الثانية.

جورج : إذا سوف أنفذ كل ما يطلب منى.

أحمد : ستتقدم أنت ، وأنا وابراهيم نرقبك من بعد وسنتفق على اشارة ، وسعاد سوف تنتظر هنا لتعطى الإشارة يدخل ابراهيم وهو يلهث من المشوار.

أحمد : أهلا ..

ابراهيم : لقد تم كل شيء وقواتنا الآن تبث الألغام فى الطريق الموصل للجبهة الغربية وقد احضرت معى لغمين لاستعمالهما كما اتفقنا. أليس كذلك.

أحمد : وقد وافق جورج على الاشتراك معنا ونرجو أن تنجح الخطة.

ابراهيم : سوف تنجح الخطة بأذن الله وإن لم تنجح فسوف نفعل ما كان يفعله اليابانيون.

أحمد : ماذا يفعلون.

ابراهيم : الانتحار ولا التسليم.

أحمد : وهو كذلك.

ابراهيم : تعالى يا سعاد.

أحمد : لماذا الآن.

ابراهيم : (صمت ينظر اليهما) يجب أن نتفق على الإشارات.

أحمد : فعلا فنحن أمامنا نصف ساعة.

سعاد : أستطيع أن أذهب لمعرفة الأخبار.

أحمد : لا نريد مجازفات الآن.

ابراهيم : سيسير كل شيء بسرعة الآن بعد نصف ساعة سينتهى الأمر.

أحمد : نعم سينتهى الأمر بعد نصف ساعة.

سعاد : وسنبدأ المعركة من جديد.

أحمد : وستدب الحياة من جديد.

(ينظر إليها وهو يقول بصوت منخفض)

ربما كان التعب ، وسنوات الكفاح والضيق هى التى سوف تدفعنا الآن للنضال والقتال بعنف فى الجولة الثانية.

سعاد : وهذا ما ابغى.

ابراهيم : (متقدما من الجندى) ضع هذا الحزام حول وسطك .

جورج : لماذا الآن ؟

ابراهيم : ألم تعرف ما هوالمطلوب منك ؟

جورج : (يأخذ الحزام ويضعه حول وسطه) نعم عرفت.

أحمد : هل حان الموعد ؟

ابراهيم   نعم باقى خمس عشرة دقيقة.

أحمد : خذ هذه القنابل.

ابراهيم : أعطنى أربع وضع الباقى معك.

أحمد : تفضل.

ابراهيم : سوف يسير جورج أمامنا دليلا، وعندما يتوجه إلى المعسكر سوف تتقدم أنت وتضع هذا اللغم خلف مخازن الذخيرة وتمد شريط اللغم وتربطه باللغم الموضوع فى وسطه.

أحمد : وماذا بعد ذلك.

ابراهيم : سأقوم أنا بباقى المهمة.
وعندما يتم الانفجار سوف تتقدم قواتنا فى هجوم خاطف على القوات التى بداخل المعسكر بعد أن تكون الألغام التى بالطريق قد دمرت القوات المتقدمة.

أحمد : وهل القوات قريبة الآن منا ؟

ابراهيم : هى الآن بالقرب من المعسكر فى انتظار ساعة البدء بقيادة عصام الدين.

أحمد : والاشارة ..

ابراهيم : ستقوم سعاد بأنارة البطارية مرتين للتقدم.

أحمد : حسنا.

ابراهيم : توكلنا على الله .

أحمد : هل عرفت يا سعاد ما هو المطلوب ؟

سعاد : نعم سوف أجلس إلى جوار هذا الجدار وأنير البطارية مرتين فتتقدم الجنود بناء على ذلك.

أحمد : الله معك .

سعاد : الله مع الجميع .

إبراهيم : لا تتحركى من هنا يا سعاد.. إذا لم أعد سيحضر عصام فاذهبى معه .

سعاد : ستعود يا أبى إن شاء الله .

ويخرج الجميع ويحمل إبراهيم القنابل والبندقية وكذلك أحمد وهو ممسك بحبل طويل يربط به الجندى الذى يسير أمامهم على بعد قدره حوالى خمسة أمتار ويتقدم الجميع .

ولا نرى شيئا على المسرح ويعم الظلام وتجلس سعاد فى الركن المحدد لها .

سعاد : يا رب .

إن هذه أرضنا ونحن نطالب بها لا نريد شيئا غير ذلك .

نريد أن نعود إلى الديار .
ونأكل خيرات أرضنا الخضراء ..
أنت تعرف يا آلهى أننا نكره الحرب .
ولكن الظروف هى التى تجبرنا على ذلك .
وأنه لمن الشرف أن يموت الانسان فى سبيل الحق شهيدا فى سبيل الله .
أنه الشرف الذى جعلنا يا إلهى ننتظر عشرين عاما لعودة الحق .
والآن حانت الساعة .
الساعة التى سوف ننتقم فيها .
وسوف يشترك معنا كل الأحرار فى المطالبة بالحق .
حتى الجبناء علما يا آلهى بأن الجبناء على أرضنا ليس لهم وجود .
فالكل مستعد للموت إيضاحا للحق وإظهارا للنور

إلهى : لقد خرج الآن أبى ولا أعرف إذا كان سوف يعود إلى أم لا وقبله ماتت أمى ولكن لا أحزن على ذلك أننى أعرف أن أبى إن عاد فسوف

يعود ومعه أجمل هدية هي الانتصار على أعدائك وإن لم يعد فإنه يكون قد وضع حجرا لعودة الحق.

إلهى : إننى أطلب منك أن ترعاهم وتنصر عبادك يا رب (ثم تلتفت إلى البطارية لتعطى إشارة البدء)

سعاد : توكلت على الله "وتنير البطارية".

في هذه الأثناء وبعد ثوان نسمع صوت إنفجار قوى ونسمع صوت طلقات الرصاص من جميع الجهات ، وأصوات جنود تصرخ وتردد الله أكبر الله أكبر.

سعاد : الحمد لله لقد نجحوا ..

وفى النهاية يردد الجميع نشيد الله أكبر الله أكبر ويسدل الستار

"تمت"



الفهرس



رقم الايداع : - ٩١/٨٤٩٨

